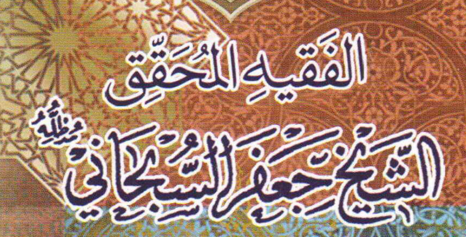


الأئمة الاثنا عشر

دراسة موجزة عن شخصيتهم وحياتهم عليهم السلام



الفقيه المحقق

الشيخ جعفر السبحاني دام ظله



الأئمة الاثنا عشر



دار جواد الأئمة

الأئمة الاثنا عشر

دراسة موجزة عن شخصيتهم وحياتهم عليهم السلام

تأليف

جعفر السبحاني



دار جواد الأئمة (ع)

حقوق الطبع محفوظة للناشر
٢٠١٥م / ١٤٣٦ هـ

دار جواد الأئمة (ع) للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - حارة حريك - شارع دكاش - بناية شحرور
ت: 73 73 13 / 03 - 12 29 69 70 00961

التقديم:

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يأتي المرء بجديد إذا ذهب إلى القول بأنّ الحقبة الزمنية التي شهدت البعثة المباركة لخاتم الأنبياء محمد ﷺ وسنوات عمره المعطاءة القصيرة كانت تشكل بحد ذاتها انعطافاً رهيباً وتحولاً كبيراً في حياة البشرية، في وقت شهد فيه الخط البياني الدال على مدى الابتعاد المتسارع عن المنهج السماوي وشرائعه المقدسة انحداراً عميقاً وتردياً ملحوظاً أصبح من العسير على أحد تحديد مدى انتهائه وحدود أبعاده.

بلى، انّ مجرد الاستقراء المتعجّل لأبعاد التحول الفكري والعقائدي في حياة البشرية عقيب قيام هذه الدعوة السماوية في أرض الجزيرة ـ المسترخية على رمال الوهم والخداع وسيل الدم المتدافع ـ يكشف وبلا تطرّف ومحاباة عظم ذلك التأثير الإيجابي الذي يمكن تحديد مساره من خلال رؤية التحول المعاكس في كيفية التعامل اليومي مع أحداث الحياة وتطوراتها، وبالتالي في فهم الصورة الحقيقية لغاية خلق الإنسان ودوره في بناء الحياة.

كما أنّ هذه الحقائق المجسّدة تكشف بالتالي عن عظم الجهد الذي بذله صاحب الرسالة ﷺ في تحقيق هذا الأمر وتثبيت أركانه، في وقت

شهدت فيه البشرية جمعاء ضياعاً ملحوظاً في جميع قيمها ومعتقداتها، وخلطاً وتزييفاً مدروساً في مجمل عقائدها ومرتكزات أفكارها، كرس بالتالي مسارها المبتعد عن الخط السماوي ومناهجه السوية، وأنّ أي استعراض لمجمل القيم السائدة آنذاك ـ والتي كانت تشكل المعيار الأساسي والمفصل المهم الذي تستند إليه مجموع السلوكيات الفردية والجماعية وتشذّب من خلاله ـ يكشف عن عمق المأساة التي كانت تعيشها تلك الأُمم في تلك الأزمنة الغابرة.

فمراكز التشريع الحاكمة آنذاك ـ والتي تعتبر في تصور العوام وفهمهم مصدر القرار العرفي والشرعي المدير لشؤون الناس والمتحكم بمصائرهم ومسار تفكيرهم ـ تنحصر في ثلاث مراكز معلومة أركانها الأساسية: اليهود بما يمتلكونه من طرح عقائدي وفكري يستند إلى ثروات طائلة كبيرة، والصليبيون بما يشكلونه من قوة مادية ضخمة تمتد مفاصلها ومراكزها إلى أبعد النقاط والحدود، وأصحاب الثروة والجاه من المتنفّذين والمتحكمين في مصائر الناس.

ومن هنا فإنّ كل الضوابط الأخلاقية والمبادئ العرفية والعلاقات الروحية والاجتماعية كانت تخضع لتشذيب تلك المراكز وتوجيهها بما يتلائم وتوجهاتها التي لا تحدها أي حدود.

إنّ هذه المراكز الفاسدة كانت تعمل جاهدة لأن تسلخ الإنسان من كيانه العظيم الذي أراده الله تعالى له، ودفعه عن دوره الكبير الذي خلق من أجله عندما قال تعالى للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ بل تعمل جاهدة لأن تحجب تماماً رؤية هذه الحقيقة العظيمة عن ناظر الإنسان

ليبقى دائماً بيدقاً أعمى تجول به أصابعهم الشيطانية لتنفيذ أفكارهم المنبعثة من شهواتهم المنحرفة.

وأمّا ما يمكن الاعتقاد به من بقايا آثار الرسالات السابقة، فلا تعدو كونها ذبالات محتضرة لم تستطع الصمود أمام تيارات التزييف والكذب والخداع التي مسخت صورتها إلى أبعد الحدود.

نعم بُعث محمد ﷺ إلى قوم خير تعبير عنهم قول جعفر بن أبي طالب للنجاشي: أيها الملك كنّا أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف.

هذا في الوقت الذي كانت فيه مراكز القوى تلك تتضخّم وتتعاظم على حساب ضياع البشرية وموت مبادئها.

وهكذا فقد كانت الدعوة الإسلامية الفتيّة وصاحبها ﷺ في مواجهة هذه المراكز بامتداداتها الرهيبة وقدراتها العظيمة، والتي شكلت أعنف مواجهة شرسة وقتال ليس له مثيل صبغ أرض الجزيرة ورمالها الصفراء، بلون أحمر قاني لسنوات لم يعرف فيها رسول الله ﷺ وخيرة أصحابه للراحة طعماً وللسكون مسكناً.

إنّ تلك الحصون المليئة بالشر والخراب لم تتهاوى إلاّ بعد جهد جهيد وسيل جارف من الدماء الطاهرة التي لا توزن بها الجبال، من رجال أوقفوا أنفسهم وأرواحهم من أجل هذا الدين وصاحبه ﷺ.

إستطاع رسول الله ﷺ أن يقيم حكومة الله تعالى في الأرض وأن يثبّت فيها الأركان على أساس الواقع والوجود، فلم تجد آنذاك كل قوى الشرّ بدّاً

من الإختبـاء في زوايا العتمـة والظلام تتحيّـن الفرص السـانحة والظـروف الملائمة لـلانقضاض على هـذا البنيان الـذي بدا يزداد شمـوخاً وعلـوّاً مع تقادم السنين.

ولقد كـان رسول الله ﷺ يدرك عيـاناً أنّ نقطـة ضعف هـذه الأُمّة يكمن في تفرّقها وفي تبعثـر جهودها ممّا سيمكن من ظهور منـافذ مشرعة في هذا البنيان الكبير لا تتردد أركـان الكفر وأعداء الديـن المتلوّنين والمتسترين من النفـوذ خـلالها والتسلل بين أهلهـا، وفي ذلك الخطـر الأكبر. ولـذا فإنّ رسول الله ﷺ كان يصرّح ويحذِّر مـن افتراق أُمّته، ويلوح للمفترقين بـالنار والجحيم.

بيد أنّ ما حـذَّر منه ﷺ وما كـان يخشاه، بدت أوّل معـالمه الخطرة تتوضح في اللحظـات الأُولى لرحيله ﷺ وانتقاله إلى عالم الخلـود، وعندها وجد أعداء هذا الـدين الفرصة مؤاتية للولـوج إلى داخل هذا البناء والعمل على هدمه بمعاول أهله لا بمعاولهم هم.

فتفرّقت هذه الأُمّة فرقاً فـرقاً وجماعات جماعات، لا تتردد كل واحدة من أن تكفّر الأُخرى وتكيل لها التهم البـاطلة والافتراءات الظالمة، وانشغل المسلمون عن أعـدائهم بقتال إخوانهم والتمثيـل بأجسادهم، وحل بـالأُمّة وباء وبيل بدا يستشري في جسدها الغض بهدوء دون أن تنشغل بعلاجه.

نعم بعـد هـذه السنين المرة من الفـرقـة والتشتّت بـدأ المسلمـون في أُخريات المطاف يلعقون جراح خلّفتهـا سيوف إخوانهم لا سيوف أعدائهم في حين ينظر إليهم أعداؤهم بتشفّ وشماتة.

إنّ ما حلَّ بالمسلمين من مصائب وتخلّف في كافة المستويات أوقعتهم في براثن المستعمرين أعداء الله ورسله يعود إلى تفرق كلمتهم وتبعثر جهودهم وتمزّق وحدتهم، ولعل نظرة عاجلة لما يجري في بقاع المعمورة المختلفة يوضّح لنا هذه الصورة المؤلمة والمفجعة، فمن فلسطين مروراً بلبنان وأفغانستان، والبوسنة والهرسك، والصومال وغيرها وغيرها مشاهد مؤلمة لنتائج هذا التمزّق والتبعثر.

وإن كان من كلمة تقال فإنّ للجهود المخلصة الداعية إلى الالتفات إلى مصدر الداء لا أعراضه فقط الثقل الأكبر في توقي غيرها من المضاعفات الخطيرة التي تتولد كل يوم في بلد من بلاد المسلمين لا في غيرها.

ولا نغالي إذا قلنا بأنّ للجمهورية الإسلامية في إيران ومؤسّسها الإمام الخميني ـ رضوان الله تعالى عليه ـ الفضل الأكبر في تشخيص موضع الداء وتحديد موطنه.

ولعل الإستقراء المختصر لجمل توجيهات الإمام ـ رحمه الله ـ طوال حياته ولسنين طويلة يدلّنا بوضوح على قدرته التشخيصية في وضع يده على موضع الداء، ودعوته إلى الالتفات إلى ذلك، لا إلى الإنشغال بما عداه.

فمن نداء له ـ رحمه الله ـ إلى حجاج بيت الله الحرام في عام (١٣٩٩هـ) قال: ومن واجبات هذا التجمع العظيم دعوة الناس والمجتمعات الإسلامية إلى وحدة الكلمة وإزالة الخلافات بين فئات المسلمين، وعلى الخطباء والوعّاظ والكتّاب أن يهتمّوا بهذا الأمر الحياتي ويسعوا إلى إيجاد

جبهة للمستضعفين للتحرر بوحدة الجبهة ووحدة الكلمة وشعار (لا إله إلاّ الله) من أسر القوى الأجنبية الشيطانية والمستعمرة والمستغلة، وللتغلب بالاخوة الإسلامية على المشاكل.

يا مسلمي العالم، ويا أتباع مدرسة التوحيد رمز كل مصائب البلدان الإسلامية هو اختلاف الكلمة وعدم الإنسجام، ورمز الانتصار وحدة الكلمة والإنسجام، وقد بيّن الله تعالى ذلك في جملة واحدة: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُواْ﴾ والاعتصام بحبل الله تبيان لتنسيق جميع المسلمين من أجل الإسلام وفي اتجاه الإسلام ولمصالح المسلمين، والإبتعاد عن التفرقة والإنفصال والفئوية التي هي أساس كل مصيبة وتخلّف.

وقال ـ رحمه الله ـ في كلمة له مع وفد من كبار علماء الحرمين الشريفين (١٣٩٩هـ): رمز انتصار المسلمين في صدر الإسلام كان وحدة الكلمة وقوة الإيمان.

لو كان ثمة وحدة كلمة إسلامية، ولو كانت الحكومات والشعوب الإسلامية متلاحمة فلا معنى لأن يبقى ما يقارب مليارد إنسان مسلم تحت سيطرة القوى الأجنبية، لو أنّ هذه القدرة الإلهية الكبرى تقترن بقوة الإيمان ويسيروا جميعاً متآخين على طريق الإسلام فلا تستطيع أية قوة أن تتغلب عليهم.

وأكّد ـ رحمه الله ـ على مغزى سر انتصار المسلمين في صدر الإسلام الأوّل رغم قلّة عددهم وتواضع امكانياتهم، وانكسارهم في الوقت الحاضر مع عظم امكانياتهم وكثرة عددهم بقوله: يا مسلمي العالم ماذا دهاكم فقد

دحرتم في صدر الإسلام بعدة قليلة جداً القوى العظمى وأوجدتم الأُمّة الكبرى الإسلامية الإنسانية، واليوم وأنتم تقربون من مليارد إنسان وتملكون مخازن الخيرات الكبرى التي هي أكبر حربة تقفون أمام العدو بمثل هذا الضعف والإنهيار ، أتعلمون أنّ كلّ مآسيكم تكمن في التفرقة والاختلاف بين زعماء بلدانكم وبالتالي بينكم أنتم أنفسكم.

وقال أيضاً: إثارة الاختلافات بين المذاهب الإسلامية من الخطط الإجرامية التي تدبرّها القوى المستفيدة من الخلافات بين المسلمين، بالتعاون مع عملائها الضالّين بمن فيهم وعاظ السلاطين المسودة وجوههم أكثر من سلاطين الجور أنفسهم، وهؤلاء يؤججون نيران هذه الاختلافات باستمرار، وكل يوم يرفعون عقيرتهم بنعرة جديدة، وفي كل مرحلة ينفذون خطة لإثارة الخلافات، آملين بذلك هدم صرح الوحدة بين المسلمين من أساسه.

وهكذا فإنّ الصورة تبدو أكثر وضوحاً عند قراءة سلسلة خطب الإمام الخميني وتوصياته المستمرة إلى عموم المسلمين وخصوصاً في مواسم الحج التي تشكّل أفضل تجمّع إسلامي تشارك فيه أعداد ضخمة من المسلمين ومن شتّى بقاع المعمورة في مؤتمر ضخم لا بد من أن يكرِّسه المسلمون لتدارس أُمورهم وعلاج مشاكلهم ومناقشة معتقداتهم، حيث أنّ الإمام ـ رحمه الله ـ كان يواظب على إثارة هذه الأُمور الحساسة والمهمة في حياة الإسلام والمسلمين، ولم يدخر في ذلك جهداً.

كما أنّ الإطلاع على فتاوى الإمام ـ رضوان الله تعالى عليه ـ يكشف بوضوح

عمق توجهه إلى هذا الأمر الحيوي والدقيق، وتأكيده عليه.

فمن توجيهاته ـ رحمه الله ـ إلى الحجاج نورد هذه الملاحظات المختصرة:

قال: يلزم على الإخوة الإيرانيين والشيعة في سائر البلدان الإسلامية أن يتجنّبوا الأعمال السقيمة المؤدّية إلى تفرقة صفوف المسلمين ، ويلزم الحضور في جماعات أهل السنّة ، والإبتعاد بشدة عن تشكيل صلاة الجماعة في المنازل ووضع مكبّرات الصوت بِشَكلٍ غير مألوف وعن إلقاء النفس على القبور المطهرة وعن الأعمال التي قد تكون مخالفة للشرع.

يلزم ويجزي (أي يكفي) في الوقوفين متابعة حكم القاضي من أهل السنّة، وإن حصل لكم القطع بخلافه.

على عامّة الإخوة والأخوات في الدين أن يلتفتوا إلى أنّ واحداً من أهم أركان فلسفة الحج إيجاد التفاهم وترسيخ الإخوّة بين المسلمين.

وغير ذلك من الفتاوى المهمّة التي ندعو جميع المسلمين إلى مطالعتها والتأمّل فيها.

وعلى هذا الخط المبارك واصلت الجمهورية الإسلامية مسارها في الدعوة إلى وحدة كلمة المسلمين بعد رحيل الإمام الخميني ـ رضوان الله تعالى عليه ـ وأخذت تؤكد عليه في كل مناسبة ومكان على لسان قائدها سماحة آية الله السيد علي الخامنئي ـ حفظه الله ـ وباقي مسؤوليها، ولم تدّخر جهداً في العمل على اقامة هذا الأمر الشرعي المهم والدفاع عنه، من خلال توجيهاتها المستمرة في هذا المنحى أو دعمها غير المحدود لكل الجهود المخلصة في هذا الميدان.

وأخيراً.. فإنّ هذا الكتاب الماثل بين يدي القارئ الكريم ـ وهو بقلم الباحث القدير الشيخ جعفر السبحاني ـ دعوة للتأمّل ضمن الحدود التي أشرنا إليها في حديثنا، وهي بالتالي تعكس صورة صادقة عن حجم الهجمة الكافرة التي أرادت تمزيق الأُمّة ودفعها إلى التشتت، وبيان ما أخذت من مساحة واسعة في فكر هذه الأُمّة ومعتقداتها.

بلى لسنا في معرض الدفاع عن الوجود المقدس لهذه الشريعة السماوية فحسب، بل ابتغينا إزاحة اللثام وإماطة الخبث عن الدسائس الخبيثة التى تريد بالأُمّة الهلاك.



بسم الله الرحمن الرحيم

تعرف الشيعة الإمامية بالفرقة الاثني عشرية، ومبعث هذه التسمية هو اعتقادهم باثني عشر إماماً من بني هاشم نصّ عليهم رسول الله ﷺ، كما هو معلوم للجميع، ومن ثمّ نصّ كل إمام على الإمام الذي بعده، بشكل يخلو من الشك والابهام.

لقد تضافر عن رسول الله ﷺ أنّه يملك هذه الأُمّة اثنا عشر خليفة كعدد نقباء بني إسرائيل. وكما هو معلوم ومبسّط في كتب الشيعة بشكل لا يقبل الشك. إنّ هذه الروايات مع ما فيها من المواصفات لا تنطبق إلاّ على أئمّة الشيعة والعترة الطاهرة «وإذا كان رسول الله ﷺ هو الشجرة وهم أغصانها، والدوحة وهم أفنانها، ومنبع العلم وهم عيبته، ومعدن الحكم وهم خزائنه، وشارع الدين وهم حفظته، وصاحب الكتاب وهم حملته»[1] فتلزم علينا معرفتهم، كيف وهم أحد الثقلين اللّذين تركهما الرسول ﷺ، قدوة للأُمّة ونوراً على جبين الدهر.

ونحن نحاول هنا أن نعرض في هذا الفصل موجزاً عن أحوالهم وحياتهم متوخّين الاختصار والايجاز في ما نورده، لأنّ بسط الكلام عنهم يحتاج إلى تدوين موسوعة كبيرة، وقد قام بذلك لفيف من علماء الإسلام فأثبتوا الشيء الكثير عن حياتهم وسيرتهم وأقوالهم، جزاهم الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء.

١ـ اقتباس ممّا ذكره أمين الإسلام الطبرسي في مقدمة كتابه إعلام الورى بأعلام الهدى ٣.

الإمام الأوّل:

الإمام أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب

ـ عليه السلام ـ

إنّ الإمام علي بن أبي طالب أشهر من أن يعرَّف، ولقد قام لفيف من السنّة والشيعة بتأليف كتب وموسوعات عن حياته، ومناقبه، وفضائله، وجهاده، وعلومه، وخطبه، وقصار كلماته، وسياسته، وحروبه مع الناكثين والقاسطين والمارقين، فالأولى لنا الاكتفاء بالميسور في هذا المجال، واحالة القارئ إلى تلك الموسوعات، بيد أنّا نكتفي هنا بذكر أوصافه الواردة في السنّة فنقول:

هو أمير المؤمنين، وسيّد المسلمين، وقائد الغرّ المحجّلين، وخاتم الوصيّين، وأوّل القوم إيماناً، وأوفاهم بعهد الله، وأعظمهم مزيّة، وأقومهم

بأمر الله، وأعلمهم بالقضية، وراية الهدى، ومنار الإيمان، وباب الحكمة، والممسوس في ذات الله، خليفة النبيّ ﷺ، الهاشمي، وليد الكعبة المشرّفة، ومُطهِّرها من كل صنم ووثن، الشهيد في البيت الإلٰهي (جامع الكوفة) في محرابه حال الصلاة سنة ٤٠ هـ.

وكل جملة من هذه الجمل، وعبارة من هذه العبارات، كلمة قدسيّة نبويّة أخرجها الحفّاظ من أهل السنّة [١].

الإمام علي ومكوّنات الشخصية :

تعود شخصية كل انسان ـ حسب مايرى علماء النفس ـ إلى ثلاثة عوامل هامّة لكل منها نصيب وافر في تكوين الشخصية وأثر عميق في بناء كيانها.

وكأنّ الشخصية الانسانية لدى كل انسان أشبه بمثلث يتألّف من اتّصال هذه الأضلاع الثلاثة بعضها ببعض، وهذه العوامل الثلاثة هي:

١ـ الوراثة .

٢ـ التعليم والثقافة.

٣ـ البيئة والمحيط.

إنّ كلّ ما يتّصف به المرء من صفات حسنة أو قبيحة، عالية أو

١ـ راجع مسند أحمد ١/ ٣٣١، ٥/ ١٨٢ـ ١٨٩، حلية الأولياء ١/ ٦٢ـ ٦٨، ولاحظ الغدير ٢/ ٣٣.

وضيعة تنتقل إلى الانسـان عبر هذه القنوات الثلاث، وتنمو فيـه من خلال هذه الطرق.

وانّ الأبنـاء لا يرثـون منّـا المال والثروة والأوصـاف الظاهـريـة فقط كملامـح الوجه ولـون العيون وكيفيـات الجسم، بل يرثـون كل ما يتمتّـع به الآباء من خصائص روحية وصفات أخلاقية عن طريق الوراثة كذلك.

فالأبوان ـ بانفصال جزئي «الحويمن» و «البويضة» المكوّنين للطفل منهما ـ إنّما ينقلان ـ في الحقيقـة ـ صفـاتهما ملخّصة إلى الخلية الأُولى المكوّنة من ذينك الجزأين، تلك الخلية الجنينية التي تنمو مع ما تحمل من الصفات والخصوصيات الموروثة.

ويشكّـل تـأثير الثقـافــة والمحيـط، الضلعين الآخـريـن في مثلـث الشخصية الإنسانية، فإنّ لهذين الأمريـن أثراً مهماً وعميقاً في تنمية السجايا الرفيعـة المودعة في بـاطن كل إنسان بصـورة فطريـة جبلية أو المتـواجدة في كيانه بسبب الوراثة من الأبوين.

فإنّ في مقدور كل معلّم أن يرسـم مصير الطفل ومستقبله من خلال ما يلقي إليـه من تعليمات وتوصيـات وما يعطيه من سيرة وسلـوك ومن آراء وأفكار، فكـم من بيئة حوّلـت أفراداً صالحين إلى فـاسدين، أو فاسـدين إلى صالحين.

وإنّ تأثير هـذين العاملين المهمّين من الـوضوح بحيـث لايحتاج إلى المزيد مـن البيان والتـوضيح . على أننّا يجب أن لاننسـى دور إرادة الإنسان نفسه وراء هذه العوامل الثلاثة.

الإمام علي -عليه السلام- والجانب الموروث في شخصيته:

لم يكن الإمام علي -عليه السلام- كبشر بمستثنى من هذه القاعدة.

فقد ورث الإمام أمير المؤمنين -عليه السلام- جانباً كبيراً من شخصيته النفسية والروحية والأخلاقية من هذه العوامل والطرق الثلاثة، و إليك تفصيل ذلك:

١- الإمام علي -عليه السلام- والوراثة من الأبوين:

لقد انحدر الامام علي من صلب والد عظيم الشأن، رفيع الشخصية هو أبو طالب، ولقد كان أبو طالب زعيم مكّة، وسيّد البطحاء، ورئيس بني هاشم، وهو إلى جانب ذلك،كان معروفاً بالسماحة والبذل والجود والعطاء والعطف والمحبّة والفداء والتضحية في سبيل الهدف المقدّس، والعقيدة التوحيديّة المباركة.

فهو الذي تكفّل رسول الله منذ توفّي عنه جدّه وكفيله الأوّل عبدالمطلب وهو آنذاك في الثامنة من عمره، وتولّى العناية به والقيام بشؤونه، وحفظه وحراسته في السفر والحضر، بإخلاص كبير واندفاع وحرص لانظير لهما، بل وبقي يدافع عن رسالة التوحيد، والدين الحق الذي جاء به النبي الكريم ﷺ ويقوم في سبيل ارساء قواعده ونشر تعاليمه بكل تضحية وفداء، و يتحمّل لتحقيق هذه الأهداف العليا كل تعب ونصب وعناء.

وقد انعكست هذه الحقيقة وتجلّى موقفه هذا في كثير من أشعاره وأبياته المجموعة في ديوانه بصورة كاملة مثل قوله:

ليعلم خيار الناس أنّ محمداً
نبيّ كموسى والمسيح ابن مريم
ألم تعلموا أنّا وجدنا محمداً
رسولاً كموسى خط في أوّل الكتب [١]

إنّ من المستحيل أن تصدر أمثال هذه التضحيات التي كان أبرزها محاصرة بني هاشم جميعاً في الشعب ومقاطعتهم القاسية من دافع غير الايمان العميق بالهدف والشغف الكبير بالمعنوية، الذي كان يتّصف به أبوطالب، إذ لا تستطيع مجرّد الوشائج العشائرية، وروابط القربى، أن توجد في الانسان مثل هذه الروح التضحوية.

إنّ الدلائل على إيمان أبي طالب بدين ابن أخيه تبلغ من الوفرة والكثرة بحيث استقطبت اهتمام كل المحقّقين المنصفين والمحايدين، ولكن بعض المتعصّبين توقّف في إيمان تلك الشخصية المتفانية العظيمة، بالدعوة المحمدية، بينما تجاوز فريق هذا الحد إلى ما هو أبعد من ذلك، حيث قالوا بأنّه مات غير مؤمن .

ولو صحّت عُشر هذه الدلائل الدالة على إيمان أبي طالب الثابتة في كتب التاريخ والحديث،في حقّ رجل آخر لما شكّ أحد في إيمانه فضلاً عن إسلامه، ولكن لايعلم الانسان لماذا لاتستطيع كل هذه الأدلّة إقناع هذه الزمرة،و إنارة الحقيقة لهم؟!

هذا عن والد الامام أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ .

١ـ مجمع البيان ٤/ ٣٧.

وأمّا أُمّه فهي فاطمة بنت أسد بن هاشم وهي من السابقات إلى الإسلام والإيمان برسول الله ﷺ وقد كانت قبل ذلك تتّبع ملّة إبراهيم.

إنّها المرأة الطاهرة التي لجأت ـ عند المخاض ـ إلى المسجد الحرام، وألصقت نفسها بجدار الكعبة وأخذت تقول:

«يا ربّ إنّي مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإنّي مصدّقة بكلام جدّي إبراهيم وانّه بنى البيت العتيق، فبحقّ الذي بنى هذا البيت و(بحق) المولود الذي في بطني إلاّ ما يسّرت عليّ ولادتي».

فدخلت فاطمة بنت أسد في الكعبة ووضعت عليّاً هناك(١).

وتلك فضيلة نقلها قاطبة المؤرّخين والمحدّثين الشيعة، وكذا علماء الأنساب في مصنّفاتهم، كما نقلها ثلّة كبيرة من علماء السنّة وصرّحوا بها في كتبهم واعتبروها حادثة فريدة، وواقعة عظيمة لم يسبق لها مثيل (٢).

وقال الحاكم النيسابوري: وقد تواترت الأخبار انّ فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه في جوف الكعبة (٣).

وقال شهاب الدين أبو الثناء السيد محمود الآلوسي: «و كون الأمير كرّم الله وجهه، ولد في البيت، أمر مشهور في الدنيا ولم يشتهر وضع غيره كرّم الله وجهه، كما اشتهر وضعه» (٤).

١ـ كشف الغمة ١/ ٦٠.

٢ـ مروج الذهب ٢/ ٣٤٩، شرح الشفاء للقاضي عياض ١/ ١٥١ وغيرهما، وقد أفرد العلاّمة الأُردوبادي رسالة في هذه المنقبة وسمّاها: علي وليد الكعبة ..

٣ـ شرح عينية عبد الباقي أفندي العمري ١٥.

٤ـ الغدير ٦/ ٢٢.

٢ـ الامام علي والتربية في حجر النبي ﷺ :

وأمّا التربية الروحية والفكرية والأخلاقية فقد تلقّاها علي ـ عليه السلام ـ في حجر رسول الله ﷺ وهي الضلع الثاني من أضلاع شخصيته الثلاثة .

ولو أنّنا قسّمنا مجموعة سنوات عمر الامام ـ عليه السلام ـ إلى خمسة أقسام لوجدنا القسم الأوّل من هذه الأقسام الخمسة من حياته الشريفة، يشكّل السنوات التي قضاها ـ عليه السلام ـ قبل بعثة النبي الأكرم ﷺ .

وانّ هذا القسم من حياته الشريفة لا يتجاوز عشر سنوات، لأنّ اللّحظة التي ولد فيها علي ـ عليه السلام ـ لم يكن النبي ﷺ قد تجاوز الثلاثين من عمره المبارك، هذا مع العلم بأنّه ﷺ قد بعث بالرسالة في سنّ الأربعين.

وعلى هذا الأساس لم يكن الامام علي ـ عليه السلام ـ قد تجاوز السنة العاشرة من عمره يوم بعث رسول الله ﷺ بالرسالة، وتوّج بالنبوّة.

إنّ أبرز الحوادث في حياة الإمام علي ـ عليه السلام ـ هو تكوين الشخصية العلوية، وتحقّق الضلع الثاني من المثلّث الذي أسلفناه بواسطة النبيّ الأكرم وفي ظلّ ما أعطاه ﷺ لعلي ـ عليه السلام ـ من أخلاق وأفكار، لأنّ هذا القسم في حياة كل انسان وهذه الفترة من عمره هي من اللحظات الخطيرة، والقيّمة جدّاً،فشخصيّة الطفل في هذه الفترة تشبه صفحة بيضاء نقيّة تقبل كل لون وهي مستعدّة لأن ينطبع عليها كل صورة مهما كانت، وهذه الفترة من العمر تعتبر ـ بالتالي ـ خير فرصة لأن ينمّي المربّون والمعلّمون فيها كلّما أودعت يد الخالق في كيان الطفل من سجايا طيّبة وصفات كريمة، وفضائل أخلاقية

نبيلة، ويوقفوا الطفل ـ عن طريق التربية ـ على القيم الأخلاقية والقواعد الانسانية وطريقة الحياة السعيدة، وتحقيقاً لهذا الهدف السامي تولّى النبي الكريم ﷺ بنفسه تربية علي ـ عليه السلام ـ بعد ولادته، وذلك عندما أتت فاطمة بنت أسد بوليدها علي ـ عليه السلام ـ إلى رسول الله ﷺ فلقيت من رسول الله حبّاً شديداً لعلي حتى أنّه قال لها:

اجعلي مهده بقرب فراشي وكان ﷺ يطهّر علياً في وقت غسله، ويوجر اللبن عند شربه، ويحرّك مهده عند نومه، ويناغيه في يقظته، ويلاحظه ويقول: هذا أخي، ووليّي وناصري وصفيّي وذخري وكهفي، وصهري، ووصيّي، و زوج كريمتي، وأميني على وصيّتي وخليفتي[١].

ولقد كانت الغاية من هذه العناية هي أن يتم توفير الضلع الثاني في مثلّث الشخصية (وهو التربية) بواسطته ﷺ، وأن لا يكون لأحد غير النبي ﷺ دخل في تكوين الشخصية العلوية الكريمة.

وقد ذكر الامام علي ـ عليه السلام ـ ما أسداه الرسول الكريم إليه وما قام به تجاهه في تلكم الفترة إذ قال:

«وقد علمتم موضعي من رسول الله ﷺ بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا وليد يضمّني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده،و يشمّني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه»[٢].

١ـ كشف الغمة ١/ ٦٠.

٢ـ نهج البلاغة ـ شرح عبده ـ ٢/ ١٨٢ الخطبة القاصعة.

النبي يأخذ علياً إلى بيته:

وإذ كان الله تعالى يريد لولي دينه أن ينشأ نشأة صالحة وأن يأخذ النبي علياً إلى بيته وأن يقع منذ نعومة أظفاره تحت تربية النبي الأكرم ﷺ، ألفت نظر نبيّه إلى ذلك.

فقد ذكر المؤرّخون أنّه أصابت مكّة ـ ذات سنة ـ أزمة مهلكة وسنة مجدبة منهكة، وكان أبوطالب ـ رضي الله عنه ـ ذا مال يسير وعيال كثير فأصابه ما أصاب قريشاً من العدم والضائقة والجهد والفاقة: فعند ذلك دعا رسول الله عمّه العباس إلى أن يتكفّل كل واحد منهما واحداً من أبناء أبي طالب وكان العباس ذا مال وثروة وجدة فوافقه العباس على ذلك:

فأخذ النبي علياً، وأخذ العباس جعفراً وتكفّل أمره، وتولّى شؤونه[1].

وهكذا وللمرّة الأُخرى أصبح علي ـ عليه السلام ـ في حوزة رسول الله ﷺ بصورة كاملة، واستطاع بهذه المرافقة الكاملة أن يقتطف من ثمار أخلاقه العالية وسجاياه النبيلة، الشيء الكثير، وأن يصل تحت رعاية النبي وعنايته وبتوجيهه وقيادته، إلى أعلى ذروة من ذرى الكمال الروحي.

وهذا هوالإمام أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ يشير إلى تلك الأيام القيّمة وإلى تلك الرعاية النبويّة المباركة المستمرّة إذ يقول:

«ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل اثر أُمّه، يرفع لي كل يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به»[2].

١ـ بحار الأنوار ٣٥/ ٤٤، وسيرة ابن هشام ١/ ٢٤٦.

٢ـ نهج البلاغة ـ شرح عبده ـ ٢/ ١٨٢.

علي في غار حراء

كان النبي ـ حتى قبل أن يبعث بالرسالة والنبوّة ـ يعتكف ويتعبّد في غار حراء شهراً من كل سنة، فإذا انقضى الشهر و قضى جواره من حراء انحدر من الجبل، وتوجّه إلى المسجد الحرام رأساً وطاف بالبيت سبعاً، ثم عاد إلى منزله. وهنا يطرح سؤال: وماذا كان شأن علي ـ عليه السلام ـ في تلك الأيام التي كان يتعبّد ويعتكف فيها رسول الله ﷺ في ذلك المكان مع ما عرفناه من حبّ الرسول الأكرم له ؟ هل كان يأخذ ﷺ علياً معه إلى ذلك المكان العجيب أم كان يتركه ويفارقه؟

إنّ القرائن الكثيرة تدل على أنّ النبي ﷺ منذ أن أخذ علياً لم يفارقه يوماً أبداً فهاهم المؤرّخون يقولون:

كان علي يرافق النبي دائماً ولايفارقه أبداً حتى انّ رسول الله ﷺ كان إذا خرج إلى الصحراء أو الجبل أخذ علياً معه[1].

يقول ابن أبي الحديد:

وقد ذكر علي ـ عليه السلام ـ هذا الأمر في الخطبة القاصعة إذ قال:

«ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولايراه غيري»[2].

إنّ هذه العبارة وإن كانت محتملة في مرافقته للنبي في حراء بعد البعثة الشريفة إلّا أنّ القرائن السابقة وكون مجاورة النبي بحراء كانت في

١ـ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١٣/ ٢٠٨.

٢ـ نهج البلاغة : الخطبة القاصعة الرقم ١٨٧.

الأغلب قبل البعثة، تؤيّد أنّ هـذه الجملة، يمكن أن تكون اشارة إلى صحبة علي للنبي في حراء قبل البعثة .

إنّ طهـارة النفسيّة العلـوية، ونقـاوة الروح التي كـان علي -عليه السلام- يتحلّ بها، والتربية المستمرّة التي كـان يحظى بها في حجر رسول الله ﷺ ،كل ذلك كان سببـاً في أن يتّصف علي -عليه السلام-- ومنذ نعومـة أظفاره - ببصيرة نفّـاذة وقلب مستنير، وأذن سميعة واعيـة تمكّنه مـن أن يرى أشيـاءً ويسمع أمـواجاً تخفـى على الناس العـاديين ويتعذّر عليهـم سماعها ورؤيتهـا، كما يصرّح نفسه بذلك إذ يقول:

«أرى نور الوحي والرسالة، وأشمّ ريح النبوّة» [١]

ويقول الإمام الصادق(عليه السلام):

«كان علي -عليه السلام- يرى مـع رسول الله ﷺ قبل الرسـا لة، الضوء ويسمع الصوت» .

وقد قال له النبي ﷺ :لولا أنّي خاتـم الأنبيـاء لكنت شريكاً في النبوّة فإن لاتكـن نبيّاً فـإنّك وصيّ نبيّ ووارثـه، بـل أنت سيّـد الأوصياء وإمـام الأتقياء[٢].

ويقول الإمـام علي -عليه السلام-: لقد سمعـت رنّة الشيطـان حين نزل الوحي عليه ﷺ فقلت: يـا رسول الله ما هـذه الرنّـة؟ فقال: هـذا الشيطان ايس من عبادته، ثمّ قال له:

١- نهج البلاغة : الخطبة القاصعة الرقم ١٨٧ .

٢-ابن أبي الحديد :شرح نهج البلاغة ١٣/ ٣١٠.

«إنّك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلاّ أنّك لست بنبي ولكنّك وزير» [١]

هذا هو الرافد الثاني الذي كان يرفد الشخصية العلوية بالأخلاق والسجايا الرفيعة .

٣ـ البيئة الرسالية وشخصية الامام:

ولو أضفنا ذينك الأمرين (أي ما اكتسبه من والديه الطاهرين بالوراثة، وما تلقّاه في حجر النبي) إلى ما أخذه من بيئة الرسالة والإسلام من أفكار وآراء رفيعة، وتأثّر عنها أدركنا عظمة الشخصية العلوية من هذا الجانب.

ومن هنا يحظى الإمام علي ـ عليه السلام ـ بمكانة مرموقة لدى الجميع: مسلمين وغير مسلمين، لما كان يتمتع به من شخصية سامقة، وخصوصيات خاصة يتميّز بها.

وهذا هو ما دفع بالبعيد والقريب إلى أن يصف علياً بما لم يوصف به أحد من البشر، ويخصّه بنعوت، حرم منها غيره، فهذا الدكتور شبلي شميل المتوفّى ١٣٣٥ وهو من كبار الماديين في القرن الحاضر يقول:

«الإمام علي بن أبي طالب عظيم العظماء نسخة مفردة لم ير لها الشرق ولا الغرب صورة طبق الأصل لا قديماً ولاحديثاً» [٢].

١ـ نهج البلاغة : الخطبة القاصعة الرقم ١٨٧ .

٢ـ الإمام علي صوت العدالة الإنسانية ١/ ٣٧.

وقال عمر بن الخطاب:

«عقمت النساء أن يلدن مثل علي بن أبي طالب» [١].

ويقول جورج جرداق الكاتب المسيحي اللبناني المعروف:

«وماذا عليك يا دنيا لو حشدت قواك فأعطيت في كل زمن عليّاً بعقله وقلبه ولسانه وذي فقاره» [٢].

هذه الأبعاد التي ألمحنا إليها هي الأبعاد الطبيعية للشخصية العلوية.

البعد الرابع لشخصية الامام ـ عليه السلام ـ:

غير أنّ أبعاد شخصية الامام علي ـ عليه السلام ـ لاتنحصر في هذه الأبعاد الثلاثة، فإنّ لأولياءالله سبحانه بعداً رابعاً، داخلاً في هوية ذاتهم، وحقيقة شخصيتهم وهذا البعد هوالذي ميّزهم عن سائر الشخصيات وأضفى عليهم بريقاً خاصّاً ولمعاناً عظيماً.

وهذا البعد هو البعد المعنوي الذي ميّز هذه الصفوة عن الناس، وجعلهم نخبة ممتازة وثلّة مختارة من بين الناس وهو كونهم رسل الله وأنبياءه، أو خلفاءه وأوصياء أنبيائه.

نرى أنّه سبحانه يأمر رسوله أن يصف نفسه بقوله: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى

١ـ الغدير ٦/ ٣٨طبعة النجف.

٢ـ الإمام علي صوت العدالة الإنسانية ١/ ٤٩.

﴿هَلْ كُنْتُ إلاّ بَشَراً رَسُولاً﴾ [1].

فقوله: ﴿بَشَراً﴾ إشارة إلى الأبعاد البشرية الموجودة في كل انسان طبيعي، و إن كانوا يختلفون فيها في ما بينهم كمالاً ولمعاناً.

وقوله: ﴿رَسُولاً﴾ إشارة إلى ذلك البعد المعنوي الذي ميّزه ﷺ عن الناس وجعله معلّماً وقدوة للبشر.

فلأجل ذلك يقف المرء في تحديد الشخصيات الإلهية على شخصية مركّبة من بعدين: طبيعي و إلهي ولايقدر على توصيفها إلاّ بنفس ما وصفهم الله به سبحانه مثل قوله في شأن الرسول الأكرم ﷺ :

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرٰاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهٰاهُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبٰاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبٰائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الأَغْلاٰلَ الَّتِى كٰانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [2] وقد نزلت في حق الإمام أميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ آيات ووردت روايات.

كيف وقال رسو ل الله ﷺ :

«عنوان صحيفة المؤمن حبّ علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ» [3].

وقال ﷺ :

«من سرّه أن يحيى حياتي ويموت مماتي، ويسكن جنّة عدن غرسها

١ـ الاسراء/ ٩٣.

٢ـ الأعراف/ ٥٧.

٣ـ أخرجه الحافظ الخطيب البغدادي في تاريخه ٤/ ٤١٠.

ربّي فليوال علياً بعدي، وليوال وليّه، وليقتد بالأئمّة من بعدي فإنّهم عترتي خلقوا من طينتي، رزقوا فهماً وعلماً، وويل للمكذّبين بفضلهم من أُمتّي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي»[١].

وقال الامام أحمد بن حنبل:

ما لأحد من الصحابة من الفضائل بالأسانيد الصحاح مثل ما لعلي ـ رضي الله عنه ـ[٢].

وقال الامام الفخر الرازي:

من اتّخذ عليّاً إماماً لدينه فقد استمسك بالعروة الوثقى في دينه ونفسه[٣].

و قال أيضاً:

من اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى لقول النبي ﷺ: اللّهمّ أدر الحقّ مع علي حيث دار[٤].

تسليط الضوء على شخصيته السامية

لا عتب على اليراع لو وقف عند تحديد شخصية كريمة معنوية خصّها الله تعالى بمواهب وفضائل، وكفى في ذلك ما رواه طارق بن شهاب،

١ـ أخرجه الحافظ أبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ٨٦.
٢ـ مناقب أحمد لابن الجوزي الحنبلي ١٦٣.
٣ـ تفسير مفاتيح الغيب ١/ ٢٠٥.
٤ـ المصدر نفسه ٢٠٤.

قال: كنت عند عبدالله بن عباس فجاء أُناس من أبناء المهاجرين فقالوا له: يا بن عباس أي رجل كان علي بن أبي طالب؟

قال: ملئ جوفه حكماً وعلماً وبأساً ونجدة وقرابة من رسول الله ﷺ[١].

روى عكرمة عن ابن عباس قال: ما نزل في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلاّ وعلي ـ عليه السلام ـ رأسها وأميرها، ولقد عاتب الله أصحاب محمد في غير مكان، وما ذكر علياً إلاّ بخير[٢].

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: ما نزل في أحد من كتاب الله ما نزل في علي[٣].

وقال ابن عباس: نزلت في علي أكثر من ثلاثمائة آية في مدحه[٤].

ونكتفي في ترجمة علي ـ عليه السلام ـ بكلمتين عن تلميذيه اللذين كانا معه سرّاً وجهراً:

١ ـ قال ابن عباس ـ عندما سئل عن علي فقال ـ: رحمة الله على أبي الحسن كان والله علم الهدى وكهف التقى وطود النهى ومحل الحجى وغيث الندى، ومنتهى العلم للورى، ونوراً أسفر في الدجى، وداعياً إلى المحجّة العظمى ومستمسكاً بالعروة الوثقى، أتقى من تقمّص وارتدى، وأكرم من شهد النجوى بعد محمد المصطفى، وصاحب القبلتين، وأبو السبطين، وزوجته خير النساء فما يفوقه أحد، لم تر عيناي مثله، ولم أسمع بمثله، فعلى

١ـ شواهد التنزيل ١/١٠٨ ح ١٥٣.

٢ـ مسند أحمد ١/ ١٩٠، تاريخ الخلفاء ١٧١.

٣ـ الصواعق المحرقة، الباب التاسع، الفصل الثالث ٧٦.

٤ـ تاريخ الخلفاء ١٧٢.

من أبغضه لعنة الله ولعنة العباد إلى يوم التناد[1].

٢ـ إنّ معاوية سأل ضراراً بن حمزة بعد موت علي عنه، فقال: صف لي عليّاً، فقال: أو تعفيني ؟ قال: صفه، قال: أو تعفيني ؟ قال: لا أعفيك،قال: أما إذ لابدّ فأقول ما أعلمه منه:

والله كان بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجّر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته،كان والله غزير الدمعة،طويل الفكرة، يقلّب كفّيه ويخاطب نفسه،يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب.

كان والله كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه ويبتدئنا إذا أتيناه، ويأتينا إذا دعوناه، ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منّا لانكلّمه هيبة، ولانبتدئه عظمة، إن تبسّم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظّم أهل الدين، ويحبّ المساكين،لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله.

فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه وقد مثل في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين وكأنّي أسمعه وهو يقول: يا دنيا أبي تعرّضت؟ أم إليّ تشوّقت ؟ هيهات، هيهات غرّي غيري قد باينتك ثلاثاً لارجعة لي فيك، فعمرك قصير وعيشك حقير، وخطرك كثير، آه من قلّة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق.

١ـ ميزان الإعتدال ١/ ٤٨٤.

قال: فذرفت دموع معاوية على لحيته فما يملكها وهو ينشفها بكمّه وقد اختنق القوم بالبكاء، فقال معاوية: رحم الله أباالحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح ولدها في حجرها فلا ترقأ عبرتها ولايسكن حزنها[1].

هذه شذرات من فضائله، وقبسات من مناقبه الكثيرة التي حفظها التاريخ عن تلاعب الأيدي.

غير أنّه لا يعرف عليّاً غير خالقه، وبعده صاحب الرسالة الكبرى ابن عمه المصطفى ﷺ.

١ـ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١٨/ ٢٢٥ وغيره.

تنصيب علي -عليه السلام- للإمامة:

لا شك في أنّ الدين الإسلامي دين عالمي، وشريعة خاتمة، وقد كانت قيادة الأُمّة الإسلامية من شؤون النبيّ الأكرم ﷺ ما دام على قيد الحياة، وطبع الحال يقتضي أن يوكل مقام القيادة بعده إلى أفضل أفراد الأُمّة وأكملهم.

إنّ في هذه المسألة وهي أنّ منصب القيادة بعد النبيّ ﷺ هل هو منصب تنصيصي تعييني أو أنّه منصب انتخابي؟ اتّجاهين:

فالشيعة ترى أنّ مقام القيادة منصب تنصيصي، ولابدّ أن ينصّ على خليفة النبيّ من السماء، بينما يرى أهل السنّة أنّ هذا المنصب انتخابي جمهوري، أي أنّ على الأُمّة أن تقوم بعد النبي باختيار فرد من أفرادها لإدارة البلاد.

إنّ لكل من الاتّجاهين المذكورين دلائل، ذكرها أصحابهما في الكتب العقائدية، إلاّ أنّ ما يمكن طرحه هنا هو تقييم ودراسة المسألة في ضوء دراسة وتقييم الظروف السائدة في عصر الرسالة، فإنّ هذه الدراسة كفيلة باثبات صحّة أحد الاتّجاهين.

إنّ تقييم الأوضاع السياسية داخل المنطقة الإسلامية وخارجها في عصر الرسالة يقضي بأنّ خليفة النبيّ ﷺ لابدّ أن يعيَّن من جانب الله تعالى، ولا يصحّ أن يوكّل هذا إلى الأُمّة، فإنّ المجتمع الإسلامي كان مهدّداً على الدوام بالخطر الثلاثي (الروم ــ الفرس ــ المنافقين) بشنّ الهجوم

الكاسح، و إلقاء بذور الفساد والاختلاف بين المسلمين.

كما أنّ مصالـح الأُمّة كـانت توجـب أن يوحّـد صفوف المسلمين في مواجهة الخطر الخارجي، وذلك بتعيين قائد سياسي من بعده، وبذلك يسد الطريـق على نفوذ العـدو في جسم الأُمّة الإسـلامية والسيطـرة عليها، وعلى مصيرها.

و إليك بيان وتوضيح هذا المطلب:

لقد كانـت الإمبراطورية الرومـانية أحد أضلاع الخطـر المثلث الذي يحيط بالكيان الإسلامي، ويهدّده من الخارج والداخل.

وكانت هذه القـوّة الرهيبة تتمركز في شمال الجزيرة العـربية، وكانت تشغل بال النبـي القائد على الدوام، حتى أنّ التفكير في أمر الـروم لم يغادر ذهنه وفكره حتى لحظة الوفاة، والالتحاق بالرفيق الأعلى.

وكانت أوّل مواجهة عسكرية بين المسلمين والجيش المسيحي الرومي وقعـت في السنـة الثـامنـة مـن الهجـرة في أرض فلسطين، وقـد أدّت هـذه المواجهـة إلى استشهاد القـادة العسكريين البـارزين الثـلاثة وهـم «جعفـر الطيار» و «زيد بن حارثة» و «عبد الله بن حارثة».

ولقـد تسبّـب انسحـاب الجيش الإسـلامـي بعـد استشهـاد القـادة المذكورين إلى تزايد جـرأة الجيش القيصري المسيحي، فكان يخشى بصورة متزايدة أن تتعرّض عاصمة الإسلام للهجوم الكاسح من قبل هذا الجيش.

من هنا خرج رسول الله ﷺ في السنة التاسعة للهجرة على رأس جيش كبير جداً إلى حدود الشام ليقود بنفسه أيّة مواجهة عسكرية، وقد استطاع الجيش في هذا الرحلة الصعبة المضنية أن يستعيد هيبته الغابرة، ويجدّد حياته السياسية:

غير أنّ هذا الانتصار المحدود لم يقنع رسول الله ﷺ ، فأعد قُبيل مرضه جيشاً كبيراً من المسلمين، وأمّر عليهم «أُسامة بن زيد»، وكلّفهم بالتوجّه إلى حدود الشام، والحضور في تلك الجبهة.

أمّا الضلع الثاني من المثلث الخطير الذي كان يهدّد الكيان الإسلامي، فكان الإمبراطورية الإيرانية (الفارسية) وقد بلغ من غضب هذه الإمبراطورية على رسول الله ﷺ ومعاداتها لدعوته، أن أقدم امبراطور إيران «خسرو برويز» على تمزيق رسالة النبي ﷺ ، وتوجيه الإهانة إلى سفيره باخراجه من بلاطه، والكتابة إلى واليه وعميله باليمن بأن يوجّه إلى المدينة من يقبض على رسول الله ﷺ ، أو يقتله إن امتنع.

و «خسرو» هذا وإن قتل في زمن رسول الله ﷺ إلاّ أنّ استقلال اليمن ـ التي رزحت تحت استعمار الامبراطورية الإيرانية ردحاً طويلاً من الزمان ـ لم يغب عن نظر ملوك إيران آنذاك، وكان غرور أُولئك الملوك وتجبّرهم وكبرياؤهم لا يسمح بتحمّل منافسة القوة الجديدة (القوة الإسلامية) لهم.

والخطر الثالث كان هو خطر حزب النفاق الذي كان يعمل بين صفوف المسلمين كالطابور الخامس على تقويض دعائم الكيان الإسلامي

من الداخل إلى درجة أنّهم قصدوا اغتيال رسول الله ﷺ ، في طريق العودة من تبوك إلى المدينة.

فقد كان بعض عناصر هذا الحزب الخطر يقول في نفسه: إنّ الحركة الإسلامية سينتهي أمرها بموت رسول الله ﷺ ورحيله، وبذلك يستريح الجميع [١].

ولقد قام أبو سفيان بن حرب بعد وفاة رسول الله ﷺ بمكيدة مشؤومة لتوجيه ضربة إلى الأُمّة الإسلامية من الداخل وذلك عندما أتى علياً -عليه السلام- وعرض عليه أن يبايعه ضدّ من عيّنه رجال السقيفة، ليستطيع بذلك تشطير الأُمّة الإسلامية الواحدة إلى شطرين متحاربين متقاتلين، فيتمكّن من التصيّد في الماء العكر.

ولكنّ الإمام علياً -عليه السلام- أدرك بذكائه البالغ نوايا أبي سفيان الخبيثة، فرفض مطلبه وقال له كاشفاً عن دوافعه ونواياه الشريرة:

«والله ما أردت بهذا إلاّ الفتنة، وإنّك والله طالما بغيت للإسلام شرّاً. لا حاجة لنا في نصيحتك» [٢].

ولقد بلغ دور المنافقين التخريبي من الشدّة بحيث تعرّض القرآن لذكرهم في سور عديدة هي: سورة آل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، والتوبة، والعنكبوت، والأحزاب، ومحمد، والفتح، والمجادلة، والحديد،

١ـ الطور/ ٣٠.

٢ـ الكامل في التاريخ ج٢ ص ٢٢٢، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٤٩.

والمنافقين، والحشر.

فهل مع وجود مثل هؤلاء الأعداء الألداء و الأقوياء الذين كانوا يتربّصون بالإسلام الدوائر، ويتحيّنون الفرص للقضاء عليه، يصح أن يترك رسول الله ﷺ أُمّته الحديثة العهد بالإسلام، الجديدة التأسيس من دون أن يعيّن لهم قائداً دينياً سياسياً؟

إنّ المحاسبات الاجتماعية تقول: إنّه كان من الواجب أن يمنع رسول الإسلام بتعيين قائد للأُمّة، ... من ظهور أيّ اختلاف وانشقاق فيها من بعده، وأن يضمن استمرار وبقاء الوحدة الإسلامية بايجاد حصن قوي وسياج دفاعي متين حول تلك الأُمّة.

إنّ تحصين الأُمّة، وصيانتها من الحوادث المشؤومة، والحيلولة دون مطالبة كل فريق «الزعامة» لنفسه دون غيره، وبالتالي التنازع على مسألة الخلافة والزعامة، لم يكن ليتحقّق، إلاّ بتعيين قائد للأُمّة، وعدم ترك الأُمور للأقدار.

إنّ هذه المحاسبة الاجتماعية تهدينا إلى صحّة نظرية «التنصيص على القائد بعد رسول الله ﷺ » ولعلّ لهذه الجهة ولجهات أُخرى طرح رسول الإسلام مسألة الخلافة في الأيام الأُولى من ميلاد الرسالة الإسلامية، وظلّ يواصل طرحها والتذكير بها طوال حياته حتى الساعات الأخيرة منها، حيث عيّن خليفته ونصّ عليه بالنصّ القاطع الواضح الصريح في بدء دعوته، وفي نهايتها أيضاً.

وإليك بيان كلا هذين المقامين:

١ـ النبوّة والإمامة توأمان:

بغضّ النظر عن الأدلّة العقلية والفلسفية التي تثبت صحّة الرأي الأوّل بصورة قطعية، هناك أخبار وروايات وردت في المصادر المعتبرة تثبت صحّة الموقف والرأي الذي ذهب إليه علماء الشيعة وتصدّقه، فقد نصّ النبيّ ﷺ على خليفته من بعده في الفترة النبوية من حياته مراراً وتكراراً، وأخرج موضوع الإمامة من مجال الانتخاب الشعبي والرأي العام.

فهو لم يعيّن (ولم ينص على) خليفته ووصيه من بعده في أُخريات حياته فحسب، بل بادر إلى التعريف بخليفته ووصيه في بدء الدعوة يوم لم ينضو تحت راية رسالته بعد سوى بضع عشرة من الأشخاص، وذلك يوم أُمر من جانب الله العلي القدير أن ينذر عشيرته الأقربين من العذاب الإلٰهي الأليم. وأن يدعوهم إلى عقيدة التوحيد قبل أن يصدع رسالته للجميع ويبدأ دعوته العامة للناس كافة.

فجمع أربعين رجلاً من زعماء بني هاشم وبني المطلب، ثمّ وقف فيهم خطيباً فقال:

«أيّكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم؟»

فأحجم القوم، وقام عليّ ـ عليه السلام ـ وأعلن مؤازرته وتأييده له، فأخذ رسول الله ﷺ برقبته، والتفت إلى الحاضرين، وقال:

«إنّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم»[١].

وقد عرف هـذا الحديث عند المفسّرين والمحدّثين: بـ «حـديث يوم الدار» و «حديث بدء الدعوة».

على أنّ رسول الله ﷺ لم يكتف بالنـص على خليفته في بدء رسـالته، بل صرّح في مناسبات شتّى في السفـر والحضر، بخلافة علي -عليه السلام- من بعده، ولكن لا يبلغ شيء من ذلك في الأهمية والظهور والصراحة والحسم ما بلغه حديث الغدير.

٢ـ قصة الغدير:

لمّا انتهت مراسيـم الحج، وتعلّم المسلمون مناسـك الحجّ من رسول الله ﷺ قرّر رسـول الله ﷺ الرحيل عـن مكة، والعودة إلى المدينـة، فأصدر أمراً بذلك، ولمّا بلغ موكب الحجيج العظيم إلى منطقة «رابغ»[٢] التي تبعد عن «الجحفة»[٣] بثلاثة أميال، نزل أمين الوحي جبرئيل على رسول الله ﷺ بمنطقة تدعى «غدير خم»، وخاطبه بالآية التالية:

﴿يا أيُّها الرَّسُـولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِـنْ رَبِّكَ وإنْ لمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ﴾[٤].

١ـ تـاريخ الطبري ج٢ ص ٢١٦، الكـامـل في التـاريخ ج٢ ص ٦٢ و ٦٣.

٢ـ رابغ تقع الآن على الطريق بين مكة والمدينة.

٣ـ من مواقيت الإحرام وتنشعب منها طرق المدنيين والمصريين والعراقيين.

٤ـ المائدة/ ٦٧.

إنّ لسان الآيـة وظاهـرها يكشف عـن أنّ الله تعالى ألقى على عـاتق النبيّ ﷺ مسـؤوليـة القيام بمهمّـة خطيرة، وأيّ أمـر أكثـر خطـورة من أن ينصّب علياً ـ عليه السلام ـ لمقام الخلافـة من بعـده على مرأى ومسمع مـن مائة ألف شاهد؟!

من هنا أصـدر رسول الله ﷺ أمره بـالتوقّف، فتوقّـف طلائع ذلك الموكب العظيم، والتحق بهم من تأخر.

لقد كان الوقت وقت الظهيرة، وكان المناخ حارّاً إلى درجة كبيرة جداً، وكان الشخص يضـع قسماً من عباءته فـوق رأسه والقسم الآخـر منها تحت قدميه، وصنع للنبي ﷺ مظلّة وكانت عبـارة عن عباءة أُلقيت على أغصان شجرة (سمرة)، وصلّـى رسول الله ﷺ بالحاضرين الظهـر جماعة وفيما كان الناس قد أحاطـوا به صعد ﷺ على منبر أُعـدّ من أحـداج الإبل وأقتـابها، وخطب في الناس رافعاً صوته ،وهو يقول:

«الحمـد لله ونستعينه ونـؤمن بـه ونتوكـل عليه، ونعـوذ بـه من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا الـذي لاهادي لمن أضلّ، ولا مضلّ لمن هدى، وأشهد أن لا إلـه إلاّ هو، وأنّ محمداً عبده ورسوله.

أمّا بعد: أيّها الناس إنّي أُوشـك أن أُدعى فأُجيب، وأنّي مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟»

قالوا: نشهد أنّك قد بلّغت ونصحت وجهدت، فجزاك الله خيراً.

قال ﷺ : «ألستـم تشهـدون أن لا إلـه إلاّ الله، وأنّ محمـداً عبـده ورسوله، وأنّ جنّته حق، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعثُ من في

القبور؟»

قالوا: بلى نشهد بذلك.

قال ﷺ: «اللّهمّ اشهد».

ثمّ قال ﷺ: «وإنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً».

فناد مناد: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله وما الثقلان؟

قال ﷺ: «كتاب الله سبب طرف بيد الله، وطرف بأيديكم، فتمسّكوا به، والآخر عترتي، وانّ اللطيف الخبير نبّأني إنهّما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا».

وهنا أخذ بيد «عليّ ـ عليه السلام ـ» ورفعها، حتى رؤي بياض اباطهما، وعرفه الناس أجمعون ثمّ قال:

«أيّها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟»

قالوا: الله ورسوله أعلم.

فقال ﷺ:

«إنّ الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعليّ مولاه [1].

اللّهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من

١ـ لقد كرّر النبيّ ﷺ هذه العبارة ثلاث مرات دفعاً لأيّ التباس أو اشتباه.

خذله، وأحب من أحبّه، وابغض من بغضه، وأدر الحق معه حيث دار»[1].

فلمّا نزل من المنبر، استجاز حسان بن ثابت شاعر عهد الرسالة في أن يفرغ ما نزل به الوحي في قالب الشعر، فأجازه الرسول، فقام وأنشد:

يناديهم يوم الغدير نبيّهم   بخمّ وأكرم بالنبيّ مناديا

يقول فمن مولاكم ووليكم   فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا

إلهك مولانا وأنت وليّنا   ولم تَرَ منّا في الولاية عاصيا

فقال له قم يا عليّ فانّني   رضيتك من بعدي إماماً وهاديا

فمن كنت مولاه فهذا وليّه   فكونوا له أنصار صدقٍ مواليا

هناك دعا: اللّهمّ! وال وليّه   وكن للذي عادى علياً معاديا

مصادر الواقعة:

هذه هي واقعة الغدير استعرضناها لك على وجه الإجمال، وهي بحق واقعة لا يسوغ لأحد انكارها بأدنى مراتب التشكيك والقدح، فقد تناولها بالذكر أئمّة المؤرّخين أمثال: البلاذري، وابن قتيبة، والطبري، والخطيب البغدادي، وابن عبد البر، وابن عساكر، وياقوت الحموي، وابن الأثير، وابن

١ـ راجع للوقوف على مصادر هذا الحديث المتواتر موسوعة الغدير للعلاّمة الأميني ـ ره ـ.

أبي الحديد، وابـن خلّكان، واليافعـي، وابن كثير، وابن خلدون، والـذهبي، وابن حجـر العسقلاني، وابن الصبـاغ المالكي، والمقريـزي، وجلال الـدين السيوطي، ونور الدين الحلبـي إلى غير ذلك من المؤرّخين الذين جادت بهم القرون والأجيال.

كما ذكره أيضاً أئمّة الحديث أمثال: الإمام الشافعي، وأحمد بن حنبل، وابـن مـاجـة، والترمـذي، والنسـائي ، وأبـو يعلى الموصلي، والبغـوي، والطحـاوي، والحاكم النيسـابـوري، وابن المغـازلي، والخطيـب الخوارزمي، والكنجـي، ومحب الـديـن الطبري، والحمـويني، والهيثمـي، والجزري، والقسطلاني، والمتقي الهنـدي، وتاج الدين المنـاوي، وأبو عبد الله الـزرقاني، وابن حمزة الـدمشقي إلى غير ذلك من أعـلام المحدّثين الذيـن يقصر المقال عن عدّهم وحصرهم.

كما تعـرض لـه كبـار المفسريـن، فقـد ذكـره: الطبري، والثعلبـي، والواحدي في أسباب النزول، والقرطبي، وأبو السعود، والفخر الرازي، وابن كثير الشـامـي، والنيسـابـوري، وجـلال الـديـن السيـوطـي، والآلـوسي، والبغدادي.

وذكره من المتكلّمين طائفة جمّة في خاتمة مبـاحث الإمامة و إن ناقشوا نقضاً و إبراماً في دلالته كالقاضي أبي بكـر الباقلاني في تمهيده، والقاضي عبد الـرحمن الايجي في مواقفـه، والسيـد الشريف الجرجـاني في شرحـه، وشمس الـديـن الاصفهـاني في مطـالع الأنـوار، والتفتـازاني في شرح المقـاصـد، والقوشجـي في شرح التجريـد إلى غير ذلك من المتكلّمين الـذين تعرضـوا لحديث الغدير وبحثوا حول دلالته ووجه الحجّة فيه.

واقعة الغدير ورمز الخلود:

أراد المولى عزّ وجلّ أن يبقى حديث الغدير غضّاً طرياً على مرّ الأجيال لم يُكدّر صفاء حقيقته الناصعة تطاول الأحقاب، وكرّ الأزمان، وانصرام الأعوام، ويرجع ذلك إلى أُمور ثلاثة:

١ـ إنّ النبيّ ﷺ قد هتف به في مزدحم غفير يربو على عشرات الآلاف عند منصرفه من الحج الأكبر، فنهض بالدعوة والاعلان، وحوله جموع من وجوه الصحابة وأعيان الأُمّة، وأمر بتبليغ الشاهد الغائب ليكونوا كافّة على علم وخبر بما تمّ إبلاغه.

٢ـ إنّ الله سبحانه قد أنزل في تلك المناسبة آيات تلفت نظر القارئ إلى الواقعة عندما يتلوها وإليك الآيات:

أ ـ **﴿يا أيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وإنْ لمْ تَفْعَلْ فما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ﴾** [١].

وقد ذكر نزولها في واقعة الغدير لفيف من المفسّرين يربو عددهم على الثلاثين، وقد ذكر العلاّمة البحّاثة المحقق الأميني في كتاب «الغدير» نصوص عبارات هؤلاء، فمن أراد الاطلاع عليها، فليرجع إليه.

ب ـ **﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسْلامَ دِيناً﴾** [٢].

وقد نقل نزول الآية جماعة منهم يزيدون على ستة عشر.

١ـ المائدة/ ٦٧.

٢ـ المائدة/ ٣.

ج ـ ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنَ اللهِ ذِي المَعَارِجِ﴾ [١].

وقد ذكر أيضاً نزول هذه الآية جماعة من المفسّرين ينوف على الثلاثين، أضف إلى ذلك أنّ الشيعة عن بكرة أبيهم متّفقون على نزول هذه الآيات الثلاث في شأن هذه الواقعة [٢].

٣ـ إنّ الحديث منذ صدوره من منبع الوحي، تسابقت الشعراء والأُدباء على نظمه، وانشاده في أبيات وقصائد امتدّت رقعتها منذ عصر انبثاق ذلك النص في تلك المناسبة إلى عصرنا هذا، وبمختلف اللغات والثقافات، وقد تمكّن البحّاثة المتضلّع العلاّمة الأميني من استقصاء وجمع كل ما نظم باللغة العربية حول تلك الحادثة، والمؤمّل والمنتظر من كافّة المحققين على اختلاف ألسنتهم ولغاتهم استنهاض هممهم لجمع ما نظم وأُنشد في أدبهم الخاص.

وحصيلة الكلام: قلّما نجد حادثة تاريخية حظيت في العالم البشري عامّة، وفي التاريخ الإسلامي والأُمّة الإسلامية خاصّة بمثل ما حظيت به واقعة الغدير، وقلّما استقطبت اهتمام الفئات المختلفة من المحدّثين والمفسّرين والكلاميين والفلاسفة والأُدباء والكتّاب والخطباء وأرباب السير والمؤرخين كما استقطبت هذه الحادثة، وقلّما اعتنوا بشيء مثلما اعتنوا بها.

١ـ المعارج/ ١ـ٣.

٢ـ راجع كتاب الغدير في شأن نزول هذه الآيات ج١ ص ٢١٤ و ٢١٧.

هذا ويستفاد من مـراجعة التاريخ إنّ يوم الثـامن عشر من شهر ذي الحجـة الحرام كان معـروفـاً بين المسلمين بيوم عيـد الغـدير، وكـانت هـذه التسمية تحظى بشهـرة كبيرة إلى درجة أنّ ابن خلكان يقـول حول «المستعلى ابن المستنصر»:

«فبويع في يوم غدير خم، وهو الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة ٤٨٧ هـ»[١].

وقال في ترجمة المستنصر بالله العباسي: «وتوفي ليلة الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيـت من ذي الحجة سنـة سبع وثمانين وأربعمائة، قلت: وهـذه هي ليلة عيد الغدير أعني ليلة الثامن عشر من شهر ذي الحجة، وهو غدير خم»[٢].

وقد عدّه أبو ريحان البيروني في كتابه الآثـار الباقية «ممّا استعمله أهل الإسلام من الأعياد»[٣].

وليس ابن خلّكان، وأبو ريحان البيروني، هما الـوحيدان اللذان صرّحا بكون هذا اليـوم هو عيد من الأعيـاد، بل هذا الثعالبي قـد اعتبر هو الآخر ليلة الغدير من الليالي المعروفة بين المسلمين»[٤].

إنّ عهد هذا العيـد الإسلامي، وجذوره ترجع إلى نفس يـوم «الغدير»

١ـ وفيات الأعيان ج١ ص ٦٠.

٢ـ المصدر نفسه.

٣ـ ترجمة الآثار الباقية ص ٣٩٥، الغدير ج١ ص ٢٦٧.

٤ـ ثمار القلوب ص ٥١١.

لأنّ النبيّ ﷺ أمر المهاجرين والأنصار، بل أمر زوجاته ونساءه في ذلك اليوم بالدخول على عليّ -عليه السلام- وتهنئته بهذه الفضيلة الكبرى.

يقول زيد بن أرقم: كان أوّل من صافح النبيّ ﷺ وعلياً: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وباقي المهاجرين والأنصار، وباقي الناس[١].

الحمد لله الذي جعلنا من المتمسّكين بولاية علي بن أبي طالب -عليه السلام-.

بعض خصائصه:

يطيب لي أن أُشير إلى بعض خصائصه قياماً ببعض الوظيفة تجاه ما له من الحقوق على الإسلام والمسلمين عامة، فنقول: إنّ له خصائص لم يشترك فيها أحد:

١- ولادته في جوف الكعبة.

٢- احتضان النبيّ الأكرم ﷺ له منذ صغره.

٣- سبقه الجميع في الإسلام.

٤- مؤاخاة النبيّ ﷺ له من دون باقي الصحابة.

٥- حمله من قبل النبيّ ﷺ على كتفه لطرح الأصنام الموضوعة في الكعبة.

١- راجع مصدره في الغدير ج١ ص ٢٧٠.

٦ـ استمرار ذرية رسول الله ﷺ من صلبه.

٧ـ بصاق النبيّ ﷺ في عينيه يوم خيبر، ودعاؤه له بأن لا يصيبه حرّ ولا قرّ.

٨ـ إنّ حبّه إيمان وبغضه نفاق.

٩ـ إنّ النبيّ ﷺ باهل النصارىٰ به وبزوجته وأولاده دون سائر الأصحاب.

١٠ـ تبليغه سورة براءة عن النبيّ ﷺ.

١١ـ إنّ النبيّ ﷺ خصّه يوم الغدير بالولاية.

١٢ـ انّه القائل: «سلوني قبل أن تفقدوني».

١٣ـ إنّ النبيّ ﷺ خصّه بتغسيله وتجهيزه والصلاة عليه.

١٤ـ إنّ الناس جميعاً من أرباب الأديان، وغيرهم ينظرون إليه كأعظم رجل عرفه التاريخ [١].

١ـ قد استخرج هذه الخصائص الكاتب القدير محمّد جواد مغنية ـ رحمه الله ـ في كتابه: الشيعة والتشيّع ٢٣٤.

الإمام الثاني:

أبو محمّد الحسن بن علي

ـ عليهما السلام ـ

المجتبى

هـو ثاني أئمّـة أهـل البيت الطـاهر، وأوّل السبطين، وأحـد سيّـدي شبـاب أهل الجنّـة، وريحانة رسـول الله ﷺ، وأحـد الخمسة من أصحـاب الكساء، أُمّه فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيّدة نساء العالمين.

ولد في المدينة ليلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث أو اثنتين من الهجرة، وهو أوّل أولاد علي وفاطمة ـ عليهما السلام ـ.

نسب كان عليـه من شمس الضحى

نـور ومـن فلق الصبـاح عمـودا

وروي عن أنس بن مالك قال: لم يكـن أحد أشبه برسول الله ﷺ من

الحسن بن علي -عليهما السلام- [١].

فلمّا ولد الحسن قالت فاطمة لعلي: سمِّه، فقال: «ما كنت لأسبق باسمه رسول الله ﷺ »، فجاء النبيّ ﷺ فأُخرج إليه فقال: «اللّهمّ إنّي أُعيذه بك وولده من الشيطان الرجيم وأذّن في أُذنه اليمنى وأقام في اليسرى.

أشهر ألقابه: التقي والزكي والسبط.

أمّا علمه: فيكفي إنّه كان يجلس في مسجد رسول الله ﷺ ويجتمع الناس حوله فيتكلّم بما يشفي غليل السائل ويقطع حجج المجادلين. من ذلك ما رواه الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي في تفسير الوسيط: أنّ رجلاً دخل إلى مسجد المدينة فوجد شخصاً يحدِّث عن رسول الله ﷺ والناس حوله مجتمعون فجاء إليه الرجل، قال: أخبرني عن ﴿شاهد ومشهود﴾ ؟فقال: نعم، أمّا الشاهد فيوم الجمعة والمشهود فيوم عرفة.

فتجاوزه إلى آخر غيره يحدّث في المسجد، فسأله عن ﴿شاهد ومشهود﴾ قال: أمّا الشاهد فيوم الجمعة، وأمّا المشهود يوم النحر.

قال: فتجاوزه إلى ثالث، غلام كأنّ وجهه الدينار، وهو يحدِّث في المسجد، فسأله عن شاهد ومشهود، فقال: «نعم، أمّا الشاهد فرسول الله ﷺ وأمّا المشهود فيوم القيامة، أما سمعته عزّ وجلّ يقول: ﴿يا أَيُّها النَّبِيُّ إِنّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ [٢]، وقال تعالى: ﴿ذٰلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وذٰلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ » [٣].

١ـ ابن الصباغ المالكي (المتوفّى عام ٨٥٥هـ): الفصول المهمّة ١٥٢.

٢ـ الأحزاب/ ٤٥.

٣ـ هود/ ١٠٣.

فسأل عن الأوّل، فقالـوا: ابن عباس، وسأل عن الثاني، فقـالوا: ابن عمر، وسأل عن الثالث، فقالوا: الحسن بن علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ. (١)

وأمّا زهده: فيكفي في ذلك ما نقله الحافظ أبـو نعيم في حليته بسنده أنّه ـ عليه السلام ـ قال: «إنيّ لأستحي من ربّي أن ألقـاه ولم أمش إلى بيته» فمشى عشرين مرّة من المدينة إلى مكّة على قدميه.

وروي عن الحافظ أبي نعيم في حليتـه أيضاً: أنّه ـ عليه السلام ـ خرج من ماله مرّتين، وقاسم الله تعالى ثلاث مرّات ماله وتصدّق به.

وكان ـ عليه السلام ـ من أزهد النـاس في الدنيا ولـذّاتها، عارفاً بغـرورها وآفاتها، وكثيراً ما كان ـ عليه السلام ـ يتمثّل بهذا البيت شعراً:

يا أهـل لذّات دنيا لا بقـاء لها   إنّ اغتراراً بظلٍّ زائـــلٍ حَمِقُ (٢)

وأمّا حلمه: فقد روى ابن خلّكان عن ابن عـائشة: إنّ رجلاً من أهل الشام قال: دخلت المدينة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ فرأيت رجلاً راكباً على بغلـة لم أر أحسن وجهـاً ولا سمتاً ولا ثـوبـاً ولا دابة منـه، فمال قلبي إليـه، فسألت عنه فقيل: هذا الحسن بن علي بن أبي طـالـب، فامتلأ قلبي له بغضاً وحسدت علياً أن يكـون له ابن مثله، فصرت إليه وقلـت له: أأنت ابن علي ابن أبي طـالب؟ قال: «أنـا ابنه»، قلـت: فعل بك وبأبيـك، أسبّهما، فلمّـا انقضى كلامي قـال لي: «أحسبك غريباً»؟ قلت: أجل، قـال: «مل بنا فإن احتجت إلى منـزل أنزلنـاك أو إلى مال آتينـاك أو إلى حاجـة عاونّـاك» قال:

---

١ ـ بحار الأنوار ١/ ١٣.

٢ ـ ابن الصباغ المالكي: الفصول المهمّة ١٥٤.

فانصرفت عنه وما على الأرض أحبّ إليّ منه، وما فكرت فيما صنع وصنعت إلاّ شكرته وخزيت نفسي [١].

وأمّا إمامته: فيكفي في ذلك ما صرّح به النبيّ ﷺ من قوله: «هذان ابناي إمامان قاما أو قعدا ...».

وروت الشيعة بطرقهم عن سليم بن قيس الهلالي قال: شهدت أمير المؤمنين -عليه السلام- حين أوصى إلى ابنه الحسن -عليه السلام- وأشهد على وصيته الحسين -عليه السلام- ومحمّداً وجميع ولده ورؤساء شيعته وأهل بيته، ثمّ دفع إليه الكتاب والسلاح وقال له: «يا بني إنّه أمرني رسول الله ﷺ أن أُوصي إليك، وأدفع إليك كتبي وسلاحي، كما أوصى إليّ ودفع إليّ كتبه وسلاحه، وأمرني أن آمرك إذا حضرك الموت أن تدفعها إلى أخيك الحسين، ثمّ أقبل على ابنه الحسين -عليه السلام- فقال: وأمرك رسول الله ﷺ أن تدفعها إلى ابنك هذا، ثمّ أخذ بيد علي بن الحسين وقال: وأمرك رسول الله أن تدفعها إلى ابنك محمّد بن علي فاقرأه من رسول الله ومنّي السلام» [٢].

روى أبو الفرج الاصفهاني: انّه خطب الحسن بن علي بعد وفاة أمير المؤمنين علي -عليه السلام- وقال: «قد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأوّلون بعمل، ولا يدركه الآخرون بعمل، ولقد كان يجاهد مع رسول الله ﷺ فيقيه بنفسه، ولقد كان يوجّهه برايته فيكتنفه جبرئيل عن يمينه وميكائيل

١ـ ابن خلّكان: وفيات الأعيان ٢/ ٦٨.

٢ـ الشيخ الطبرسي (٢٠٧ ـ ٢٠٨هـ): إعلام الورى بأعلام الهدى، ومن أراد الوقوف على نصوص إمامته فعليه أن يرجع إلى الكافي ١/ ٢٩٧، واثبات الهداة ٢/ ٥٤٣ـ ٥٦٨ فقد نقل خمسة نصوص في المقام.

عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح الله عليه، ولقد توفّي في هذه الليلة التي عرج فيها بعيسى بن مريم، ولقد توفّي فيها يوشع بن نون وصي موسى، وما خلف صفراء ولا بيضاء إلاّ سبعمائة درهم بقية من عطائه أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله».

ثمّ خنقته العبرة فبكى وبكى الناس معه.

ثمّ قال: «أيّها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمّد ﷺ أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله عزّ وجلّ بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا، والذين افترض الله مودّتهم في كتابه إذ يقول: ﴿ومَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيها حُسْناً﴾[1] فاقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت».

قال أبو مخنف عن رجاله: ثمّ قام ابن عباس بين يديه فدعا الناس إلى بيعته فاستجابوا له وقالوا: ما أحبّه إلينا وأحقّه بالخلافة، فبايعوه[2].

وقال المفيد: كانت بيعته يوم الجمعة الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة، فرتب العمال وأمر الأُمراء، وأنفذ عبد الله ابن العباس إلى البصرة، ونظر في الأُمور[3].

وقال أبو الفرج الاصفهاني: وكان أوّل شيء أحدثه الحسن أنّه زاد في

١ـ الشورى/ ٢٣.

٢ـ مقاتل الطالبيين ٥٢.

٣ـ المفيد: الارشاد ١٨٨.

المقاتلة مائة مائة، وقد كان علي فعل ذلك يوم الجمل، وهو فعله يوم الاستخلاف، فتبعه الخلفاء بعد ذلك [١].

قال المفيد: فلمّا بلغ معاوية وفاة أمير المؤمنين وبيعة الناس ابنه الحسن، دسَّ رجلاً من حمير إلى الكوفة، ورجلاً من بني القين إلى البصرة ليكتبا إليه بالأخبار ويفسدا على الحسن الأمور، فعرف ذلك الحسن فأمر باستخراج الحميري من عند لحام في الكوفة فأُخرج وأمر بضرب عنقه. وكتب إلى البصرة باستخراج القيني من بني سليم فأُخرج وضربت عنقه [٢].

ثمّ إنّه استمرت المراسلات [٣] بين الحسن معاوية وانجرّت إلى حوادث مريرة إلى أن أدّت إلى الصلح واضطرّ إلى التنازل عن الخلافة لصالح معاوية، فعقدا صلحاً وإليك صورته.

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما صالح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب معاوية بن أبي سفيان، صالحه على أن يسلّم إليه ولاية المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنّة رسول الله، وليس لمعاوية أن يعهد إلى أحد من بعده عهداً، على أنّ الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله تعالى في شامهم ويمنهم وعراقهم

١ـ مقاتل الطالبيين ٥٥.

٢ـ المفيد: الارشاد ١٨٨ ، مقاتل الطالبيين ٥٢.

٣ـ ومن أراد الوقوف عليها فليرجع إلى مقاتل الطالبيين ٥٣ إلى ٧٢ وبالامعان فيها وما أظهر أصحابه من التخاذل، يتضح سرّ صلح الإمام وتنازله عن الخلافة فلم يصالح إلاّ أنّه أتم الحجّة عليهم، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى صلح الحسن للشيخ راضي آل ياسين.

وحجازهم.

وعلى أنّ أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم حيث كانوا، وعلى معاوية بذلك عهد الله وميثاقه.

وعلى أن لا يبغي للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من أهل بيت رسول الله ﷺ غائلة سوء سرّاً وجهراً، ولا يخيف أحداً في أُفق من الآفاق. شهد عليه بذلك فلان وفلان، وكفى بالله شهيداً [١].

ولما تمّ الصلح صعد معاوية المنبر وقال في خطبته: إنّي والله ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا، ولا لتحجّوا ولا لتزكّوا، إنّكم لتفعلون ذلك، ولكنّي قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون . ألا وإنّي كنت منّيت الحسن وأعطيته أشياء وجميعها تحت قدميّ هاتين لا أفي بشيء منها له [٢].

شهادته: لما نقض معاوية عهده مع الإمام الحسن -عليه السلام- ـ وما كان ذلك بغريب على رجل أبوه أبو سفيان وأُمّه هند، وهو طليق ابن طلقاء ـ عمد إلى أخذ البيعة ليزيد ولده ـ المشهور بمجونه وتهتكه وزندقته ـ وما كان شيء أثقل عليه من أمر الحسن بن علي -عليهما السلام- فدس إليه السم، فمات بسببه.

فقد روي: أنّ معاوية أرسل إلى ابنة الأشعث ـ وكانت تحت الحسن -عليه السلام- ـ: إنّي مزوّجك بيزيد ابني على أن تسمّي الحسن بن علي. وبعث

١ـ ابن صباغ المالكي: الفصول المهمّة ١٦٣.

٢ـ المفيد: الارشاد ١٩١ طبعة النجف.

إليهـا بمائة ألف درهم، فقبلت وسمّـت الحسن، فسوّغهـا المال ولم يزوّجهـا منه [١].

فلمّـا دنى موتـه أوصى لأخيه الحسين ـ عليه السلام ـ وقال: «إذا قضيت نحبي غسّلني وكفّني واحملني على سريـري إلى قبر جدّي رسول الله ﷺ ثمّ ردّني إلى قبر جدّتي فـاطمة بنت أسد فـادفنّي هناك، وبـالله أُقسم عليك أن تهريق في أمري محجمة دم.

فلمّـا حملوه إلى روضة رسول الله ﷺ لم يشكّ مروان ومن معه من بني أُميّة إنّهم سيـدفنونه عند جـدّه رسول الله ﷺ فتجمّعوا له ولبسـوا السلاح، ولحقتهم عائشـة على بغل وهي تقول: مـا لي ولكم تريدون أن تُـدخلوا بيتي من لا أُحب!! وجعل مروان يقول: يا ربّ هيجـاء هي خير من دعةٍ، أيدفن عثمان في أقصى المدينة ويدفن الحسن مع النبيّ. وكادت الفتنة تقع بين بني هاشم وبني أُميّة. ولأجل وصيّة الحسن مضوا به إلى البقيع ودفنوه عند جدته فاطمة بنت أسد [٢].

وتوفّيَ الحسن وله من العمر ٤٧ عاماً وكـانت سنة وفاته سنة ٥٠ من الهجرة النبويّة. والعجيب أنّ مروان بن الحكم حمل سريره إلى البقيع فقال له الحسين: «أتحمل سريره!! أما والله لقد كنـت تجرّعه الغيظ» فقال مروان: إنّي كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال [٣].

ولما بلغ معـاوية مـوت الحسن ـ عليه السلام ـ سجد وسجـد من حـوله

١ـ مقاتل الطالبيين ٧٣.

٢ـ الارشاد ١٩٣، كشف الغمة ١/ ٢٠٩، مقاتل الطالبيين ٧٤ـ ٧٥.

٣ـ مقاتل الطالبيين ٧٦.

وكبّـر وكبّـروا معـه، ذكـره الـزمخشري في ربيع الأبـرار وابـن عبـد البرّ في الاستيعاب وغيرهما.

فقال بعض الشعراء:

أصبح اليـوم ابـن هند شـامتـا ظاهـر النخوة إذ مـات الحسن

يا ابن هند إن تذق كأس الردى تكُ في الـدهـر كشيء لم يكـن

لست بـالباقـي فلا تشمت بـه كـل حـيّ للمنـايـا مـرتهن [1]

هذه لمحة عن حياة الحسن المشحونة بالحوادث المريرة. وتركنا الكثير ممّا يـرجع إلى جوانب حياتـه، خصوصاً مـا نقل عنه من الخطب والـرسائل والكلم القصـار، ومن أراد التفصيـل فليرجع إلى تحف العقـول [2] فقد ذكر قسماً كبيراً من كلماته.

١ـ الأمين العاملي: في رحاب أئمّة أهل البيت ٤٣.

٢ـ الحرّاني، حسن بن شعبة، تحف العقول ٢٢٥ ـ ٢٣٦.

الإمام الثالث:

الحسين بن علي بن أبي طالب

-عليهما السلام-

سيد الشهداء

هو ثالث أئمّة أهل البيت الطاهر، وثاني السبطين، وسيدي شباب أهل الجنّة، وريحانتي المصطفى ﷺ، وأحد الخمسة أصحاب الكساء، وسيد الشهداء، وأُمّه فاطمة بنت رسول الله ﷺ .

ولد في المدينة المنوّرة في الثالث من شعبان سنة ثلاث أو أربع من الهجرة، ولما ولد جيئ به إلى رسول الله ﷺ فاستبشر به، وأذّن في أُذنه اليمنى وأقام في اليسرى، فلمّا كان اليوم السابع سمّاه حسينا، وعقّ عنه بكبش، وأمر أُمّه أن تحلق رأسه وتتصدق بوزن شعره فضّة، كما فعلت بأخيه الحسن، فامتثلت -عليها السلام- ما أمرها به.

ولقد استشهد يوم الجمعة لعشر خلون من المحرم سنة ٦١ من الهجرة، وقيل يوم السبت، وكان قد أدرك من حياة النبيّ الأكرم ﷺ خمس أو ست سنوات، وعاش مع أبيه ٣٦ سنة، ومع أخيه ٤٦ سنة.

إنّ حياة الإمام الحسين من ولادته إلى شهادته حافلة بالأحداث، والاشارة ـ فضلاً عن الاحاطة ـ إلى كل ما يرجع إليه يحتاج إلى تأليف مفرد، وقد أغنانا في ذلك ما كتبه المؤلّفون والباحثون عن جوانب من حياته ـ عليه السلام ـ حيث تحدثوا في مؤلّفاتهم المختلفة عن النصوص الواردة من جدّه وأبيه في حقّه، وعن علمه ومناظراته، وخطبه وكتبه وقصار كلمه، وفصاحته وبلاغته، ومكارم أخلاقه وكرمه وجوده، وزهده وعبادته، ورأفته بالفقراء والمساكين، وعن أصحابه والرواة عنه، والجيل الذي تربّى على يديه. وذلك في مؤلّفات قيمة لا تعد ولاتحصى.

غير أنّ للحسين ـ عليه السلام ـ وراء ذلك، خصيصة أُخرى وهي كفاحه وجهاده الرسالي والسياسي الذي عُرِفَ به، والذي أصبح مدرسة سياسية دينية، لعلها أصبحت الطابع المميز له ـ عليه السلام ـ والصبغة التي اصطبغت حياته الشريفة بها، وأُسوة وقدوة مدى أجيال وقرون، ولم يزل منهجه يؤثّر في ضمير الأُمّة ووعيها، ويحرّك العقول المتفتّحة، والقلوب المستنيرة إلى التحرّك والثورة ومواجهة طواغيت الزمان بالعنف والشدّة.

وها نحن نقدم إليك نموذجاً من غرر كلماته في ذلك المجال حتى تقف على كفاحه وجهاده أمام التيارات الإلحادية والانهيار الخلقي.

إباؤه للضيم ومعاندة الجور:

لما توفّي أخوه الحسن في العام الخمسين من الهجرة أوصى إليه بالإمامة فاجتمعت الشيعة حوله، يرجعون إليه في حلّهم وترحالهم، وكان لمعاوية عيون في المدينة يكتبون إليه ما يكون من الأحداث المهمّة التي لا توافق هوى السلطة الأموية المنحرفة، والتي قد تشكل خطراً جدياً على وجودها غير المشروع، ولقد كان همّ هذه السلطة هو الإمام الحسين -عليه السلام- لما يعرفونه عنه من موقف لا يلين ولا يهادن في الحق، ومن هنا فقد كتب مروان بن الحكم - وكان عامل معاوية على المدينة - : إنّ رجالاً من أهل العراق ووجوه أهل الحجاز يختلفون إلى الحسين بن علي وأنّه لا يأمن وثوبه، ولقد بحثت عن ذلك فبلغني أنّه لا يريد الخلاف يومه هذا، ولست آمن أن يكون هذا أيضاً لما بعده.

ولما بلغ الكتاب إلى معاوية كتب رسالة إلى الحسين وهذا نصّها: أمّا بعد: فقد انتهت إليّ أُمور عنك إن كانت حقّاً فإنّي أرغب بك عنها، ولعمر الله انّ من أعطى الله عهده وميثاقه لجدير بالوفاء، وأنّ أحقّ الناس بالوفاء من كان في خطرك وشرفك ومنزلتك التي أنزلك الله لها ...[1].

ولما وصل الكتاب إلى الحسين بن علي، كتب إليه رسالة مفصّلة ذكر فيها جرائمه ونقضه ميثاقه وعهده، نقتبس منها ما يلي:

«ألست قاتل حجر بن عدي أخا كندة وأصحابه المصلّين، العابدين، الذين ينكرون الظلم، ويستفظعون البدع، ويأمرون بالمعروف،

١ـ الإمامة والسياسة ١/ ١٦٣.

وينهون عن المنكر، ولا يخافون في الله لومة لائم، ثمّ قتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما أعطيتهم الأيمان المغلّظة والمواثيق المؤكّدة، ولا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم، جرأة على الله واستخفافاً بعهده.

أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله، العبد الصالح الذي أبلته العبادة فنحل جسمه واصفرّ لونه، فقتلته بعد ما أمنته وأعطيته العهود ما لو فهمته العصم لنزلت من شعف الجبال.

أولست المدعي زياد بن سميّة المولود على فراش عبيد بن ثقيف فزعمت أنّه ابن أبيك، وقد قال رسول الله ﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر، فتركت سنّة رسول الله ﷺ تعمّداً وتبعت هواك بغير هدى من الله، ثمّ سلّطته على أهل الإسلام يقتلهم، ويقطع أيديهم وأرجلهم، ويُسمل أعينهم، ويصلبهم على جذوع النخل، كأنّك لست من هذه الأُمّة وليسوا منك.

أولست صاحب الحضرميين الذين كتب فيهم ابن سمية أنّهم على دين علي ـ صلوات الله عليه ـ فكتبت إليه: أن اقتل كل من كان على دين عليّ، فقتلهم ومثّل بهم بأمرك، ودين علي هو دين ابن عمه ﷺ الذي كان يضرب عليه أباك ويضربك، وبه جلست مجلسك الذي أنت فيه، ولولا ذلك لكان شرفك وشرف آبائك تجشّم الرحلتين رحلة الشتاء والصيف»[1].

هذا هو الحسين، وهذا هو إباؤه للضيم ودفاعه عن الحق ونصرته للمظلومين في عصر معاوية. وذكرنا هذه المقتطفات كنموذج من سائر خطبه ورسائله التي ضبطها التاريخ.

١ـ الإمامة والسياسة ١/ ١٦٤.

رفضه البيعة ليزيد:

لما هلك معاوية في منتصف رجب سنة ٦٠ هجرية كتب يزيد إلى الوليد بن عتبة والي المدينة أن يأخذ الحسين -عليه السلام- بالبيعة له، فأنفذ الوليد إلى الحسين -عليه السلام- فاستدعاه، فعرف الحسين ما أراد، فدعا جماعة من مواليه وأمرهم بحمل السلاح وقال: «اجلسوا على الباب» فإذا سمعتم صوتي قد علا فادخلوا عليه ولا تخافوا عليّ».

وصار -عليه السلام- إلى الوليد فنعى الوليد إليه معاوية فاسترجع الحسين -عليه السلام- ثمّ قرأ عليه كتاب يزيد بن معاوية، فقال الحسين -عليه السلام-: «إنّي لا أراك تقنع ببيعتي ليزيد سراً حتى أُبايعه جهراً فيعرف ذلك الناس»، فقال له الوليد: أجل، فقال الحسين -عليه السلام-: «فتصبح وترى رأيك في ذلك» فقال الوليد: انصرف على اسم الله تعالى، فقال مروان: والله لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتى يكثر القتلى بينكم وبينه، احبس الرجل فلا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه، فوثب عند ذلك الحسين -عليه السلام- وقال: «أنت يا بن الزرقاء تقتلني أو هو؟ كذبت والله وأثمت» ثمّ خرج [١].

وأصبح الحسين من غده يستمع الأخبار، فإذا هو بمروان بن الحكم قد عارضه في طريقه فقال: أبا عبد الله إنّي لك ناصح فأطعني ترشد وتسدّد، فقال: «وما ذاك قل أسمع» فقال: إنّي أرشدك لبيعة يزيد فانّها خير لك في دينك وفي دنياك، فاسترجع الحسين وقال: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون وعلى

١ـ الشيخ المفيد: الارشاد ٢٠٠ طبع النجف.

الإسلام السلام إذا بليت الأُمّة براع مثل يزيد، ثمّ قال: يا مروان أترشدني لبيعة يزيد!! ويزيد رجل فاسق، لقد قلت شططاً من القول وزللاً، ولا ألومك فإنّك اللعين الذي لعنك رسول الله وأنت في صلب أبيك الحكم بن العاص، ومن لعنه رسول الله فلا ينكر منه أن يدعو لبيعة يزيد، إليك عنّي يا عدوّ الله، فإنّا أهل بيت رسول الله الحق فينا ينطق على ألسنتنا، وقد سمعت جدّي رسول الله يقول: الخلافة محرّمة على آل أبي سفيان الطلقاء وأبناء الطلقاء، فإذا رأيتم معاوية على منبري فابقروا بطنه. ولقد رآه أهل المدينة على منبر رسول الله فلم يفعلوا به ما أُمروا فابتلاهم بابنه يزيد» [١].

ثمّ إنّ الحسين غادر المدينة إلى مكة، ولما بلغ أهل الكوفة هلاك معاوية اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد فاتّفقوا أن يكتبوا إلى الحسين رسائل وينفذوا رسلاً طالبين منه القدوم إليهم في الكوفة لأنّ القوم قد بايعوه ونبذوا بيعة الأمويين، وألحّوا في ذلك الأمر أيّما الحاح، مبيّنين للإمام -عليه السلام- أنّ السبل ميسرة والظروف مهيئة لقدومه، حيث كتب له وجهاؤهم من جملة ما كتبوه:

«أمّا بعد: فقد اخضرّ الجناب وأينعت الثمار، فإذا شئت فأقبل على جند لك مجنّدة».

ولما جاءت رسائل أهل الكوفة تترى على الحسين -عليه السلام- أرسل ابن عمه مسلم بن عقيل -رضوان الله عليه- إلى الكوفة ممثّلاً عنه لأخذ البيعة له منهم، وللتحقّق من جدية هذا الأمر، ثمّ كتب إليهم: «أمّا بعد: فإنّ هانئاً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليّ من رسلكم، وقد فهمت

١ـ الخوارزمي: مقتل الحسين ١/ ١٨٤ ـ ١٨٥.

كل الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلّكـم أنّه ليس علينا إمام فاقبل لعلّ الله أن يجمعنـا بك على الحق والهدى، وإنّي بـاعث إليكـم أخي وابـن عمّي وثقتي مـن أهل بيتي مسلـم بن عقيل، فـإن كتب إليَّ: إنّـه قـد اجتمع رأي ملائكـم وذووا الحجى والفضل منكم على مثل مـا قدمت عليّ بـه رسلكم، وقرأته في كتبكم، فإنّي أقدم عليكم وشيكاً إن شاء الله، فلعمري ما الإمام إلاّ الحاكم بالكتـاب، القائم بالقسـط، الدائن بدين الحق، الحابـس نفسه على ذات الله»[1].

ثمّ خرج الإمام من مكـة متوجّهاً إلى الكوفة يوم الترويـة أو يوماً قبله مع أهل بيته وجماعة من أصحابـه وشيعته، وكان كتاب من مسلم بن عقيل قد وصـل إليه يخبره ببيعة ثمانيـة عشر ألفاً مـن أهل الكوفـة، وذلك قبل أن تنقلب الأُمور على مجاريها بشكل لا تصدّقه العقول، حيث استطاع عبيد الله ابن زياد بخبثـه ودهائه، وافراطـه في القتل، أن يثبط همم أهل الكـوفة، وأن تنكث بيعة الإمام الحسين ـعليه السلام ـ، ويقتل سفيره بشكل وحشي بشع.

ولما أخذ الإمام ـعليه السلام ـ يقترب من الكوفة استقبلـه الحر بن يزيد الرياحي بألف فارس مبعوثاً من الوالي عبيد الله بن زياد لاستقدامه وإكراهه على اعطاء البيعـة ليزيـد وارسالـه قهراً إلى الكـوفة، فعنـد ذلك قـام الإمام وخطب بأصحابه وأصحاب الحر بقـوله: «أيها الناس إنّ رسول الله قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاّ حرم الله نـاكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله، يعمل في عباده بـالإثم والعدوان، فلم يغيّـر عليه بفعل ولا قول كـان حقاً على الله أن يدخلـه مدخله، ألا وأنّ هـؤلاء قد لزموا طـاعة الشيطان وتـركوا

١ـ المفيد: الارشاد ٢٠٤.

طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله، وأنا أحق من غَيَّر»[١].

الدافع الواقعي للهجرة إلى العراق:

رغم انّ الدافع الظاهري لهجرته -عليه السلام- إلى العراق كانت رسائل أهل الكوفة ورسلهم حتى أنّ الإمام احتجّ بها عندما واجه الحر بن يزيد الرياحي وعمر بن سعد عندما سألاه عن سرّ مجيئه إلى العراق فقال: «كتب إليَّ أهل مصركم هذا أن أقدم»[٢].الاّ أنّ السر الحقيقي لهجرته -عليه السلام- رغم ادراكه الواضح لما سيترتب عليها من نتائج خطرة ستؤدي بحياته الشريفة، وهو ما وطّن نفسه -عليه السلام- عليه، يمكن ادراكه من خلال الاستقراء الشامل لمسيرة حياته وكيفية تعامله مع مجريات الأحداث. إنّ الأمر الذي لا مناص من الذهاب إليه هو ادراك الإمام -عليه السلام- ما يشكله الاذعان والتسليم لتولّي يزيد بن معاوية خلافة المسلمين رغم ما عُرف عنه من تهتك ومجون وانحراف واضح عن أبسط المعايير الإسلامية، وفي هذا مؤشّر خطر عن عظم الانحراف الذي أصاب مفهوم الخلافة الإسلامية، وابتعادها الرهيب عن مضمونها الشرعي.

ومن هنا فكان لابد من وقفة شجاعة تعيد للأُمّة جانباً من رشدها المضاع وتفكيرها المسلوب . إنّ الإمام الحسين -عليه السلام- قد أعلنها صراحة

١ـ الطبري: التاريخ ٤/ ٣٠٤ حوادث سنة ٦١هـ، وأمّا ما جرى على الإمام وأهل بيته حتى نزل أرض كربلاء فراجع المقاتل.

٢ـ المفيد: الارشاد ٢٢٤ـ٢٢٨.

بقوله لما طالبه مروان بن الحكم بالبيعة ليزيد، حيث قال: «فعلى الإسلام السلام إذا بليت الأُمّة براع مثل يزيد» كما عرفت سابقاً.

نعم إنّ رسول الله ﷺ قال: «صنفان من أُمّتي إذا صلحا صلحت أُمّتي وإذا فسدا فسدت أُمّتي، قيل: يا رسول الله ومن هما؟ فقال: الفقهاء والأُمراء» (١)، فإذا كان صلاح الأُمّة وفسادها رهن صلاح الخلافة وفسادها، فقيادة مثل يزيد لا تزيد الأمر إلاّ عيثاً وفساداً.

إنّ القيادة الإسلامية بين التنصيص والشورى، ولم يملك يزيد السلطة لا بتنصيص من الله سبحانه ولا بشورى من الأُمّة، وهذا ما أدركه المسلمون آنذاك حيث كتبوا إلى الحسين ـ عليه السلام ـ رسالة جاء فيها: أمّا بعد فالحمد لله الذي قصم عدوّك الجبّار العنيد الذي انتزى على هذه الأُمّة فابتزّها أمرها وغصبها فيئها وتأمّر عليها بغير رضى منها، ثمّ قتل خيارها واستبقى شرارها (٢).

ولم يكن الولد (يزيد) فريداً في غصب حق الأُمّة بل سبقه والده معاوية إلى ذلك كما هو معروف وليس بخاف على أحد، وإلى تلك الحقيقة الممجوجة يشير الإمام علي ـ عليه السلام ـ في كتاب له إلى معاوية، حيث يقول:

«فقد آن لك أن تنتفع باللمح الباصر من عيان الأُمور، فقد سلكت مدارج أسلافك بادّعائك الأباطيل واقتحامك غرور المين والأكاذيب، وبانتحالك ما قد علا عنك، وابتزازك لما قد اختزن دونك فراراً من الحق وجحوداً لما هو ألزم لك من لحمك ودمك ممّا قد وعاه سمعك، وملئ به

١ـ القمي: سفينة البحار ٢/ ٣٠ مادة أمر.

٢ـ الجزري: الكامل ٢/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧، والارشاد ٢٠٣.

صدرك، فماذا بعد الحق إلاّ الضلال المبين»[1].

هذا ونظائره المذكورة في التاريخ ما دفع الحسين إلى الثورة، وتقديم نفسه وأهل بيته قرابين طاهرة من أجل نصرة هذا الدين العظيم، مع علمه بأنّه وفقاً لما تحت يديهِ من الامكانات المادية لن يستطع أن يواجه دولة كبيرة تمتلك القدرات المادية الضخمة ما يمكنها من القضاء على أي ثورة فتية، نعم إنّ الإمام الحسين -عليه السلام- كان يدرك قطعاً هذه الحقيقة، إلاّ أنّه أراد أن يسقي بدمائه الطاهرة المقدسة شجرة الإسلام الوارفة التي يريد الأمويون اقتلاعها من جذورها.

كما أنّ الإمام -عليه السلام- أراد أن يكسر حاجز الخوف الذي أصاب الأُمّة فجعلها حائرة مترددة أمام طغيان الجبابرة وحكّام الجور، وأن تصبح ثورته مدرسة تتعلّم منها الأجيال معنى البطولة والتضحية من أجل المبادئ والعقائد، وكان كل ذلك بعد استشهاد الإمام -عليه السلام-، والتاريخ خير شاهد على ذلك.

كان المعروف منذ ولادة الإمام الحسين -عليه السلام- أنّه سيستشهد في العراق في أرض كربلاء وعرف المسلمون ذلك في عصر النبيّ الأكرم ﷺ ووصيّه، لذا كان الناس يترقّبون حدوث تلك الفاجعة، كما أنّ هناك الكثير من القرائن التي تدلّ بوضوح على حتمية استشهاده -عليه السلام-، ومن ذلك:

١- روى غير واحد من المحدّثين عن أنس بن الحارث الذي استشهد في كربلاء أنّه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ ابني هذا يقتل بأرض

١- نهج البلاغة، قسم الكتب، برقم ٦٥.

يقـال لها كربـلاء فمن شهد ذلـك منكم فلينصره» فخرج أنـس بن الحارث فقتل بها مع الحسين -عليه السلام- [١].

٢ـ إنّ أهل الخبرة والسيـاسية في عصر الإمـام كانـوا متّفقين على أنّ الخروج إلى العراق يشكّل خطـراً كبيراً على حياة الإمام -عليه السلام- وأهل بيته ولأجل ذلك أخلصوا له النصيحة، وأصرّوا عليه عدم الخروج، ويتمثّل ذلك في كـلام أخيه محمّـد ابن الحنفيـة، وابن عمّـه ابن عباس، ونسـاء بني عبـد المطلب، ومع ذلك اعتذر لهم الإمام وأفصح عن عزمه على الخروج [٢].

٣ـ لما عزم الإمام المسير إلى العراق خطـب وقال: «الحمد لله وما شاء الله ولا قـوّة إلاّ بالله وصلّـى الله على رسولـه، خُطّ الموت على ولـد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسـلافي، اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخُيّـر لي مصرع أنا أُلاقيه، كأنّي بـأوصالي تقطّعها عسـلان الفلوات، بين النواويس وكربـلاء فيملآن منّي أكراشاً جُوَّفاً وأجـربة سغباً، لا محيص عن يوم خطّ بالقلم. رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أُجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله ﷺ لحمته، بل هي مجموعة له في حظيرة القدس تَقـرّ بهم عينه، وينجـز بهم وعده، ألا ومن كـان فينا بـاذلاً مهجته، مـوطِّنـاً على لقاء الله نفسـه فليرحـل معنـا فإنّي راحل مصبحـاً إن شـاء الله تعالى» [٣].

١ـ الاصابة ١/ ٨١ برقم ٢٦٦.

٢ـ لاحظ المحاورات التي جرت بين الإمام وهؤلاء في الارشاد ٢٠١ـ ٢٠٢ طبع النجف ومقاتل الطالبيين ١٠٩، اللهوف ٢٠ طبعة بغداد.

٣ـ اللهوف ٤١ طبعة بغداد.

٤ـ لمّا بلغ عبد الله بن عمر ما عزم عليه الحسين ـعليه السلام ـ دخل عليه فلامه في المسير، ولما رآه مصرّاً عليه قبّل ما بين عينيه وبكى وقال: أستودعك الله من قتيل [١].

٥ـ لمّا خرج الحسين ـعليه السلام ـ من مكة لقيه الفرزدق الشاعر فقال له: إلى أين يا بن رسول الله ﷺ ما أعجلك عن الموسم؟ قال: «لو لم أعجل لأُخذْتُ، ثمّ قال له: أخبرني عن الناس خلفك» فقال: الخبير سألت، قلوب النّاس معك، وأسيافهم عليك [٢].

٦ـ لما أتى إلى الحسين خبر قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وعبد الله بن يقطر، قال لأصحابه: «لقد خذلنا شيعتنا، فمن أحبّ منكم الانصراف فلينصرف ليس معه ذمام» فتفرّق الناس عنه، وأخذوا يميناً وشمالاً، حتى بقي في أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة ونفر يسير ممّن انضمّوا إليه. ومع ذلك فقد واصل ـعليه السلام ـ مسيره نحو الكوفة، ولما مرّ ببطن العقبة لقيه شيخ من بني عكرمة يقال عمر بن لوذان، فسأل الإمام: أين تريد؟ فقال له الحسين ـعليه السلام ـ: «الكوفة» فقال الشيخ: أنشدك لما انصرفت، فوالله ما تقدِمُ إلاّ على الأسنّة وحدّ السيوف، فقال له الحسين: «ليس يخفى علي الرأي، وأنّ الله تعالى لا يُغلب على أمره» [٣].

وفي نفس النص دلالة على أنّ الإمام كان يدرك ما كان يتخوّفه غيره، و أنّ مصيره لو سار إلى الكوفة هو القتل، ومع ذلك أكمل السير طلباً

١ـ تذكرة الخواص ٢١٧ ـ ٢١٨.

٢ـ الارشاد ٢١٨.

٣ـ المصدر نفسه: ٢٢٣.

للشهادة من أجل نصرة الـدين ورد كيد أعدائه، وحتى لا تبقـى لأحد حجة يتذرّع بها لتبرير تخاذله وضعفه.

نعم لقـد كان الحسين -عليه السلام- على بيّنة مـن أمره وما سيـؤول إليه سفـره من مصير محتوم، فـلا شيء يقف أمـام ارادته مـن أجل اعلاء كلمـة الدين وتثبيت دعائمه التي أراد الأمويـون تقويضها، أُنظر إليه وهو يخاطب الحر بن يزيد الـرياحي الذي يحذّره من مغبّة اصراره على مـوقفه حيث يقول له: «أفبالموت تخوّفني، وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني، وسأقول كما قال أخو الأوس لابن عمّه وهو يريد نصرة رسـول الله فخوّفه ابن عمّه وقال: أين تذهب فإنّك مقتول، فقال:

سأمضي وما بـالموت عار على الفتى
إذا مـا نـوى حقّـاً وجـاهـد مسلما

وواسىٰ الـرجـال الصـالحين بنفسـه
وفـارق مثبـوراً وخـالـف مجرمـا

فـإن عشت لم أنْـدُم وإن مِـتُّ لَمَ أُلَم
كفـى بـك ذلاًّ أن تعيـش وتـرغما» (١)

ثمّ إنّه كـان لشهادة الحسين -عليه السلام- أثر كبير في ايقـاض شعور الأُمّـة وتشجيعها على الثورة ضـدّ الحكومـة الأمـويـة التي أصبحت رمـزاً للفساد والانحراف عن الـدين، ولأجل ذلك توالت الثورات بعد شـهادته من قبـل المسلمين في العـراق والحجـاز، وهـذه الانتفـاضـات وإن لم تحقّق

١ـ المفيد: الارشاد ٢٢٥، والطبري في تاريخه ٥/ ٢٠٤.

هدفها في وقتها ولكن كان لها الدور الأساسي في سقوط الحكومة الأموية بعد زمان.

ولقد أجاد من قال: لولا نهضة الحسين -عليه السلام- وأصحابه -رضي الله عنهم- يوم الطف لما قام للإسلام عمود، ولا اخضرّ له عود، ولأماته معاوية وأتباعه ولدفنوه في أوّل عهده في لحده. فالمسلمون جميعاً بل الإسلام من ساعة قيامه إلى قيام الساعة رهين شكر للحسين -عليه السلام- وأصحابه -رضي الله عنهم- [1].

بلىٰ، فلا مغالاة في قول من قال: إنّ الإسلام محمّدي الحدوث حسيني البقاء والخلود.

ترىٰ أنّى للإمام الحسين -عليه السلام- الاذعان لحقيقة تسلّم يزيد مقاليد خلافة رسول الله ﷺ، يزيد المنحرف الفاسد، عدوّ الله وعدوّ رسوله، الذي لم يستطع اخفاء دفائنه عندما أُحضر رأس سيد الشهداء بين يديه حيث أنشد:

ليت أشياخي ببدر شهدوا	جزع الخزرج من وقع الأسل
قد قتلنا القرم من ساداتهم	وعدلنا قتل بدر فاعتدل
لأهلّوا واستهلّوا فرحا	ثمّ قالوا يا يزيد لا تشل
لست من خندف إن لم أنتقم	من بني أحمد ما كان فعل
لعبت هاشم بالملك فلا	خبر جاء ولا وحي نزل [2]

١- جنّة المأوى ٢٠٨ للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء.

٢- البيتان الأوّلان لابن الزبعرى، والثلاثة الأخيرة ليزيد، لاحظ تذكرة الخواص ٢٣٥.

وأمّـا بيـان خـروجـه من مكـة متـوجّهـاً إلى العـراق والحوادث التي تعـرّضت له في مسيره إلى أن نـزل بأرض كـربلاء، والتـي استشهد فيهـا مع أولاده وأصحابـه البالغ عددهم ٧٢ شخصـاً، ظمآناً وعطشاناً، فهـو خارج عن مـوضوع البحث. وقـد أُلّف فيه مئـات الكتب وعشرات الموسـوعات. فسلام الله عليه يوم ولد، ويوم استشهد ويوم يبعث حيّاً.

الإمام الرابع:

علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب

- عليهم السلام -

زين العابدين

هـو رابع أئمّـة أهل البيـت الطاهـر، المشهـور بـزين العـابـدين أو سيّدهم، والسجّاد، وذو الثفنات.

ولد في المدينة سنة ٣٨ أو ٣٧ هـ، وتـوفّي بها عام ٩٥ أو ٩٤ هـ، يوم السبت الثاني عشر من محرّم.

قال ابن خلّكان: هو أحد الأئمّة الإثنى عشر ومن سادات التابعين. قال الـزهري: مـا رأيت قرشيّـاً أفضل منـه. وفضائله ومنـاقبه أكثـر من أن تحصى وتـذكر، ولما توفّي دفن في البقيـع في جنب عمّه الحسن في القبّـة التي فيها قبر العباس - رضي الله عنه -[1].

ولقد تولّى الإمامـة بعد استشهاد أبيه الحسين - عليه السلام - في كربلاء،

---

١ ـ وفيات الأعيان ٣/ ٢٦٧ ـ ٢٦٩.

وللاطلاع على النصوص الواردة في إمامته ينبغي الرجوع إلى كتب الحديث والعقائد المتكفّلة بهذا الجانب المهم، وأخص منها بالذكر كتاب «الكافي» للكليني، و «الإرشاد» للشيخ المفيد، و «كفاية الأثر» للخزار، و «اثبات الهداة» للحر العاملي.

ومن أراد الاطّلاع على مناقبه وكراماته وفضائله في مجالات شتّى كالعلم، والحلم، والجرأة والاقدام، وثبات الجنان، وشدة الكرم والسخاء، والورع، والزهد، والتقوى، وكثرة التهجّد والتنفّل، والفصاحة والبلاغة، وشدة هيبته بين الناس ومحبّتهم له، وتربيته لجيل عظيم من الصحابة والعلماء أوقفوا حياتهم في خدمة الإسلام، وغير ذلك ممّا لا يسعنا التعرّض لها هنا، فعليه طلب ذلك في الموسوعات المتعدّدة التي تعرّضت لذلك بالشرح والتفصيل.

إلاّ أنّا نكتفي هنا بجانب من سيرته -عليه السلام- تتعلّق بجملة محدّدة من الأُمور:

١ـ هيبته ومنزلته العظيمة:

لقد كان -عليه السلام- مهاباً جليلاً بين الناس بشكل كبير، حتى انّ هذه المنزلة العظيمة جعلت الأُمراء والحكّام يحسدونه عليها، والتاريخ يذكر لنا على ذلك شواهد كثيرة ومتعدّدة، ومن ذلك:

لمّا حجّ هشام بن عبد الملك قبل أن يلي الخلافة اجتهد أن يستلم الحجر الأسود فلم يمكنه ذلك، وجاء علي بن الحسين -عليهما السلام- فتوقّف له الناس، وتنحّوا حتى استلم، فقال جماعة لهشام: من هذا؟ فقال: لا أعرفه

(مع أنّه كان يعرفه أنّه علي بن الحسين -عليه السلام-) فسمعه الفرزدق، فقال: لكنّي أعرفه، هذا علي بن الحسين زين العابدين، وأنشد هشاماً قصيدته التي منها هذه الأبيات:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحلّ والحرمُ

هذا ابن خير عباد الله كلّهم
هذا التقي النقي الطاهر العلمُ

يكاد يمسكه عرفان راحته
ركن الحطيم إذا ما جاء يستلمُ

يُغضي حياء ويُغضى من مهابته
فما يكلّم إلاّ حين يبتسمُ

إذا رأته قريش قال قائلها
إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ

إن عُدَّ أهل التقى كانوا أئمّتهم
أو قيل من خير أهل الأرض قيل همُ

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله
بجدّه أنبياء الله قد خُتموا

وليس قولك من هذا بضائره
العرب تعرف من أنكرت والعجمُ

إلى آخر القصيدة التي حفظتها الأُمّة وشطرها جماعة من الشعراء.

وقد ثقل ذلك على هشام فأمر بحبسه، فحبسوه بين مكة والمدينة، فقال معترضاً على عمل هشام:

أيحبسني بين المدينــة والتي إليها قلوب الناس يهوى منيبها

يقلب رأساً لم يكن رأس سيّد وعيناً له حولاء باد عيوبها

فأخرجه من الحبس فوجّه إليه علي بن الحسين -عليهما السلام- عشرة آلاف درهم وقال: «اعذرنا يا أبا فراس، فلو كان عندنا في هذا الوقت أكثر من هذا لوصلناك به» فردّها الفرزدق وقال: ما قلت ما كان إلاّ لله، فقال له علي -عليه السلام-: «قد رأى الله مكانك فشكرك، ولكنّا أهل بيت إذا أنفذنا شيئاً لم نرجع فيه» وأقسم عليه فقبلها.

٢-زهده وعبادته ومواساته للفقراء:

أمّا زهده وعبادته ومواساته للفقراء، وخوفه من الله فغني عن البيان. فقد روي عنه -عليه السلام- أنّه إذا توضّأ اصفرّ لونه، فيقال: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ قال: «أتدرون بين يدي من أُريد أن أقف».

ومن كلماته -عليه السلام- : «أنّ قوماً عبدوا الله رياضة فتلك عبادة العبيد، وأنّ قوماً عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار، وأنّ قوماً عبدوه شكراً فتلك عبادة الأحرار».

وكان إذا أتاه سائل يقول له: «مرحباً بمن يحمل زادي إلى الآخرة».

وكان -عليه السلام- كثير الصدقات حريص عليها، و كان يوصل صدقاته ليلاً دون أن يعلم به أحد، وقد روي أنّه -عليه السلام- كان يعول مائة عائلة من أهالي المدينة لا يدرون من يأتيهم بالصدقات، ولما توفّي-عليه السلام-

أدركوا ذلك .

وفي رواية: أنّه -عليه السلام- كان يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدّق به ويقول: «صدقة السر تطفئ غضب الربّ» .

وفي رواية كان أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين -عليه السلام- [1].

وقال رجل لسعيد بن المسيب: ما رأيت رجلاً أورع من فلان - وسمّى رجلاً - فقال له سعيد: أما رأيت علي بن الحسين؟ فقال: لا، فقال: ما رأيت أورع منه.

وقال أبو حازم: ما رأيت هاشمياً أفضل من علي بن الحسين.

وقال طاووس: رأيت علي بن الحسين -عليهما السلام- ساجداً في الحجر فقلت: رجل صالح من أهل بيت طيّب لأسمعن ما يقول، فأصغيت إليه فسمعته يقول: «عُبيدُك بفنائك، مسكينك بفنائك، سائلك بفنائك، فقيرك بفنائك» قال طاووس: فوالله ما دعوت بهنّ في كرب إلاّ كشف عنّي.

وكان يصلّي في كل يوم وليلة ألف ركعة، فإذا أصبح سقط مغشياً عليه، وكانت الريح تميله كالسنبلة، وكان يوماً خارجاً فلقيه رجل فسبّه فثارت إليه العبيد والموالي، فقال لهم علي -عليه السلام-: «مهلاً كفّوا» ثمّ أقبل على ذلك الرجل فقال له: «ما سترَ عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟» فاستحى الرجل فألقى إليه -عليه السلام- خميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم، فكان ذلك الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنّك من أولاد الرسل [2].

١ـ تذكرة الخواص ٢٩٤.

٢ـ كشف الغمّة ٢/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣.

الثروة العلمية للإمام:

أمّا الثروة العلميـة والعرفـانية، فهـي أدعيته التي رواهـا المحدّثـون بأسانيدهم المتضافرة، والتـي جمعت بها أُسمي بالصحيفة السجّادية المنتشرة في العالم، فهي زبور آل محمـد، ومن الخسارة الفادحة أنّ اخـواننا أهل السنّة ـ إلاّ النادر القليل منهم ـ غير واقفين على هذا الأثر القيّم الخالد.

نعم، إنَّ فصاحة ألفاظها، وبلاغة معانيها، وعلوّ مضامينها، وما فيها من أنواع التذلّـل لله تعالى والثناء عليه، والأساليب العجيبـة في طلب عفوه وكرمه والتوسّل إليه، أقوى شاهد على صحّة نسبتها إليه، وإنّ هذا الدر من ذلك البحر، وهـذا الجوهر من ذلك المعـدن، وهذا الثمر مـن ذلك الشجر، مضافـاً إلى اشتهارهـا شهرة لا تقبل الـريب، وتعدّد أسـانيدهـا المتّصلة إلى منشئهـا، فقـد رواهـا الثقـاة بـأسـانيـدهـم المتعـدّدة المتّصلـة، إلى زيـن العابدين [١].

وقد أرسل أحـد الأعلام نسخة من الصحيفـة مع رسالة إلى العـلاّمة الشيخ الطنطـاوي (المتـوفّى عـام ١٣٥٨ هــ) صـاحـب التفسير المعـروف، فكتب في جـواب رسالته: «ومن الشقـاء إنّا إلى الآن لم نقف على هـذا الأثر القيّم الخالـد في مواريث النبوّة وأهـل البيت، وإنّي كلّما تأمّلتها رأيتهـا فوق كلام المخلوق، دون كلام الخالق» [٢].

وكان المعـروف بين الشيعة هو الصحيفة الأُولى التـي تتضمّن واحداً وستين دعـاء في فنـون الخير وأنواع السـؤال مـن الله سبحانـه، والتـي تعلّم

١ـ في رحاب أئمة أهل البيت ٣/ ٤١٤.

٢ـ مقدمة الصحيفة بقلم العلاّمة المرعشي ـ قدّس سرّه ـ ٢٨.

الانسان كيف يلجأ إلى ربّه في الشدائد والمهمّات، وكيف يطلب منه حوائجه، وكيف يتذلّل ويتضرّع له، وكيف يحمد ويشكر له. غير أنّ لفيفاً من العلماء استدركوا عليها فجمعوا من شوارد أدعيته صحائف خمسة أخيرتها ما جمعه العلاّمة السيد محسن الأمين العاملي ـ قدّس سرّه ـ.

ولقد قام العلاّمة الحجة السيّد محمد باقر الأبطحي ـ دام ظلّه ـ بجمع جميع أدعية الإمام الموجودة في هذه الصحف في جامع واحد، وقال في مقدمته:

وحرّي بنا القول إنّ أدعيته ـ عليه السلام ـ كانت ذات وجهين: وجهاً عبادياً، وآخر اجتماعياً يتّسق مع مسار الحركة الاصلاحية التي قادها الإمام ـ عليه السلام ـ في ذلك الظرف الصعب. فاستطاع بقدرته الفائقة المسدّدة أن يمنح أدعيته ـ إلى جانب روحها التعبّدية ـ محتوىً اجتماعياً متعدّد الجوانب، بما حملته من مفاهيم خصبة، وأفكار نابضة بالحياة، فهو ـ عليه السلام ـ صاحب مدرسة إلهية، تارة يعلّم المؤمن كيف يمجّد الله ويقدّسه، وكيف يلج باب التوبة، وكيف يناجيه وينقطع إليه، وأُخرى يسلك به درب التعامل السليم مع المجتمع فيعلّمه اسلوب البرّ بالوالدين، ويشرح حقوق الوالد والولد، والأهل، والأصدقاء، والجيران، ثمّ يبيّن فاضل الأعمال وما يجب أن يلتزم به المسلم في سلوكه الاجتماعي، كل ذلك باسلوب تعليميّ رائع وبليغ.

وصفوة القول: إنّها كانت اسلوباً مبتكراً في إيصال الفكر الإسلامي والمفاهيم الإسلامية الأصيلة إلى القلوب الظمأى، والأفئدة التي تهوى إليها لترتزق من ثمراتها، وتنهل من معينها، فكانت بحق عملية تربوية نموذجية من الطراز الأوّل، أسّس بناءها الإمام السجاد ـ عليه السلام ـ مستلهماً جوانبها

من سير الأنبياء وسنن المرسلين [١].

ومن أدعيته ـ عليه السلام ـ في هذه الصحيفة دعاؤه في يوم عرفة، ومنه:

«اللّهمَّ هذا يوم عرفةَ، يومٌ شرَّفتهُ وكرَّمتهُ وعظَّمتهُ، نَشَرتَ فيهِ رحمتَكَ، وَمَننتَ فيهِ بعفوكَ، وأجزلتَ فيهِ عطيتكَ، وتفضَّلتَ بهِ على عبادِكَ.

اللّهمَّ وأنا عبدكَ الذي أنعمتَ عليهِ قَبلَ خَلقِكَ لهُ، وبعدَ خَلقِكَ إيّاهُ، فَجَعَلتَهُ مِمَّن هَديتَهُ لدينِكَ، وَوفَّقتَهُ لحقِّكَ، وعصمتَهُ بِحَبلِكَ، وأدْخَلتَهُ في حِزبِكَ، وأَرْشَدتَهُ لموالاةِ أوليائِكَ ومعاداةِ أعدائِكَ».

رسالة الحقوق:

إنّ للإمام علي بن الحسين رسالة معروفة باسم رسالة الحقوق، أوردها الصدوق في خصاله [٢] بسند معتبر، ورواها الحسن بن شعبة في تحف العقول [٣] مرسلة، وبين النقلين اختلاف يسير.

وهي من جلائل الرسائل في أنواع الحقوق، يذكر الإمام فيها حقوق الله سبحانه على الانسان، وحقوق نفسه عليه، وحقوق أعضائه من اللسان والسمع والبصر والرجلين واليدين والبطن والفرج، ثمّ يذكر حقوق الأفعال، من الصلاة والصوم والحج والصدقة والهدي ... التي تبلغ خمسين حقّاً، آخرها حق الذمّة.

كما روى الحفّاظ وتلاميذ مدرسته أحاديثاً وحكماً مختلفة جليلة حوتها بطون الكتب المختلفة، جمع الكثير منها العلاّمة المجلسي في موسوعته الموسومة ببحار الأنوار، من مختلف المصادر، فراجع.

١ـ الصحيفة السجادية الجامعة ١٣.

٢ـ الخصال ٥٦٤ ـ ٥٧٠ في أبواب الخمسين.

٣ـ تحف العقول ١٨٣ ـ ١٩٥.

الإمام الخامس:

أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين

-عليهم السلام-

الباقر

هو خامس أئمّـة أهل البيت الطاهر، المعروف بالباقـر، وقد اشتهر به لبقره العلم وتفجيره له. قـال ابن منظور في لسان العرب: لقّب بـه لأنّه بقر العلم وعرف أصله واستنبط فرعه وتوسّع فيه [1].

وقال ابن حجر: سمّي بذلك لأنّـه من بقر الأرض أي شقّها، وإثارة مخبآتها، ومكـامنها، فكـذلك هو أظهـر من مخبـآت كنوز المعـارف وحقائق الأحكام، والحكم واللطائف مـا لا يخفى إلاّ على منطمس البصيرة أو فاسد الطويـة والسريرة، ومن ثمّ قيـل فيه هو بـاقر العلم وجـامعه وشاهـر علمه ورافعه [2].

١ـ لسان العرب ٤/ ٧٤.

٢ـ الصواعق المحرقة ٢٠١.

وقال ابـن كثير: أبو جعفـر محمّد بن علي بـن الحسين بن علي بن أبي طالب، وسمّي بـالباقر لبقره العلـوم، واستنباطه الحكم، كان ذاكـراً خاشعاً صابـراً، وكان من سـلالة النبـوّة، رفيع النسب، عـالي الحسب، وكان عـارفاً بالخطرات، كثير البكاء والعبرات، معرضاً عن الجدال والخصومات (١).

وقال ابن خلّكان: أبو جعفر محمّد بن زين العابدين، الملقّب بالباقر، أحد الأئمّة الإثنى عشر في اعتقاد الإماميـة، وهو والد جعفر الصادق . كان الباقـر عالماً سيّداً كبيراً، وإنّما قيل له البـاقر لأنّه تَبَقَّر في العلـم أي توسّع، وفيه يقول الشاعر:

يـا باقـر العلم لأهـل التُّقى وخير من لبّـى على الأجبل (٢)

ولد بالمدينة غرة رجب سنة ٥٧ هـ وقيل ٥٦ هـ، وتوفّي في السابع من ذي الحجّة سنة ١١٤ هـ، وعمره الشريف ٥٧ سنة. عاش مع جدّه الحسين ـ عليه السلام ـ ٤ سنين، ومع أبيه ـ عليه السلام ـ بعد جدّه ـ عليه السلام ـ تسعاً وثلاثين سنة، وكانت مدة إمامته ـ عليه السلام ـ ١٨ سنة (٣).

وأمّـا النصوص الـدالّة على إمـامته مـن أبيه وأجـداده والتي ذكرهـا المحدّثون والمحقّقون من علمائنا الأعلام فهي مستفيضة نقلها الكليني ـ رضي الله عنه ـ وغيره.

قال ابن سعد: محمّد الباقر من الطبقة الثالثة من التابعين من المدينة،

١ـ البداية والنهاية ٩/ ٣٠٩.

٢ـ وفيات الأعيان ٤/ ١٧٤.

٣ـ إعلام الورى بأعلام الهدى ٢٦٤ ـ٢٦٥.

كان عالماً عابداً ثقة، وروى عنه الأئمّة أبو حنيفة وغيره.

قال أبو يوسف: قلت لأبي حنيفة: لقيت محمّد بن علي الباقر؟ فقال: نعم وسألته يوماً فقلت لـه: أراد الله المعاصي؟ فقال: «أفيعصى قهراً»؟ قال أبو حنيفة: فما رأيت جواباً أفحم منه.

وقال عطاء: ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند أبي جعفر، لقد رأيت الحكم عنده كأنّه مغلوب، ويعني الحكم بن عيينة، وكان عالماً نبيلاً جليلاً في زمانه.

وذكر المدائني: عن جابر بن عبد الله: أنّه أتى أبا جعفر محمّد بن علي إلى الكتاب وهو صغير فقال له: رسول الله ﷺ يسلّم عليك، فقيل لجابر: وكيف هذا؟ فقال: كنت جالساً عند رسول الله والحسين في حجره وهو يداعبه فقال: «يا جابر يولد مولود اسمه عليّ إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ليقم سيّد العابدين فيقوم ولده، ثمّ يولد له ولد، اسمه محمّد، فإن أدركته يا جابر فاقرأه منّي السلام».

وذكر ابن الصبّاغ المالكي بعد نقل القصّة: إنّ النبيّ ﷺ قال لجابر: «وإن لاقيته فاعلم أنّ بقاءك في الدنيا قليل» فلم يعش جابر بعد ذلك إلاّ ثلاثة أيّام. ثمّ قال: هذه منقبة من مناقبه باقية على ممر الأيّام، وفضيلة شهد له بها الخاص والعام[1].

وقال المفيد: لم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين ـ عليهما السلام ـ في علم الدين والآثار والسنّة وعلم القرآن والسيرة وفنون الآداب ما ظهر من

١ـ ابن الجوزي: تذكرة الخواص ٣٠٢ـ٣٠٣، الفصول المهمّة ٢١٥ـ٢١٦.

أبي جعفر الباقر ـ عليه السلام ـ [١].

وروى عنه معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين وفقهاء المسلمين وسارت بذكر كلامه الأخبار وأُنشدت في مدائحه الأشعار ... [٢].

قال ابن حجر: صفا قلبه، وزكاه علمه وعمله، وطهرت نفسه، وشرف خلقه، وعمرت أوقاته بطاعة الله، وله من الرسوم في مقامات العارفين ما تكلّ عنه ألسنة الواصفين، وله كلمات كثيرة في السلوك والمعارف لا تحتملها هذه العجالة [٣].

وأمّا مناظراته مع المخالفين فحدّث عنه ولا حرج، وقد جمعها العلاّمة الطبرسي في كتاب الاحتجاج [٤].

قال الشيخ المفيد في الارشاد: وجاءت الأخبار: إنّ نافع بن الأزرق [٥] جاء إلى محمّد بن علي فجلس بين يديه يسأله عن مسائل الحلال والحرام. فقال له أبو جعفر في عرض كلامه: «قل لهذه المارقة، بم استحللتم فراق أمير المؤمنين، وقد سفكتم دماءكم بين يديه في طاعته والقربة إلى الله بنصرته؟ فسيقولون لك: إنّه حكَّم في دين الله، فقل لهم: قد حكَّم الله تعالى

١ـ الارشاد ٢٦٢.

٢ـ الفصول المهمّة ٢١٠ نقله عن ارشاد الشيخ المفيد ٢٦١، فلاحظ.

٣ـ الصواعق المحرقة ٣٠١.

٤ـ الاحتجاج ٢/ ٥٤ ـ ٦٩ طبع النجف.

٥ـ الارشاد ٢٦٥، ولعلّ المناظر هو عبد الله بن نافع بن الأزرق، لأنّ نافعاً قتل عام ٦٥ من الهجرة وللإمام عندئذ من العمر دون العشرة، وقد نقل ابن شهر آشوب بعض مناظرات الإمام مع عبد الله بن نافع فلاحظ ٤/ ٢٠١.

في شريعة نبيّه ﷺ رجلين من خلقـه فقال: ﴿فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يُريدا إصلاحاً يوفّق الله بينهما﴾، وحكَّم رسول الله ﷺ سعد بن معاذ في بني قريـظة فحكم فيهم بما أمضاه الله، أوما علمتم أنَّ أمير المؤمنين إنَّما أمر الحكمين أن يحكما بالقرآن ولا يتعدّيـاه، واشترط ردّ ما خالف القرآن في أحكـام الرجـال، وقـال حين قالـوا لـه: حكّمت على نفسك مـن حكم عليك؟ فقال: ما حكّمت مخلوقـاً وإنّما حكّمت كتاب الله. فأين تجد المارقة تضليل مـن أمر بـالحكم بـالقرآن، واشترط ردّ مـا خالفـه لولا ارتكـابهم في بدعتهم البهتان»؟فقـال نافع بن الأزرق: هذا والله كلام مـا مرّ بسمعي قط ولا خطر منّي ببال، وهو الحقّ إن شاء الله.

ثمّ إنّ الشيعـة الإمامية أخـذت كثيراً من الأحكام الشرعية عنـه وعن ولـده البار جعفـر الصـادق وحسب الترتيب المتـداول في الكتب الفقهيـة، حيث روي عنه ـ عليه السلام ـ الكثير من الروايات الفقهية التي تناولت مختلف جوانب الحياة، وللاطلاع على ذلك تراجع كتب الفقه وموسوعاته المختلفة.

وأمّا ما روي عنه في الحِكَم والمواعظ، فقـد نقلها أبو نعيم الاصفهاني في حلية الأولياء، والحسن بن شعبة الحرّاني في تحفه [1].

وقد توفّي الإمام محمّد الباقر ـ عليه السلام ـ عام ١١٤ هـ ، ودفن في جنب قبر أبيـه في البقيع، ومن أراد البحث عـن فصول حيـاته في شتى المجـالات فليراجع الموسوعات التي تحفل بها المكتبات العامّة والخاصّة.

١ـ حلية الأولياء ٣/ ١٨٠ ـ ٢٣٥ وفي بعض ما نقل عنه تأمّل ونظر. والحسن بن علي بن شعبة في تحف العقول ٢٨٤ ـ ٣٠٠.

الإمام السادس:

جعفر بن محمّد

-عليهما السلام-

الصادق

هو الإمـام السادس من أئمّة أهل البيت الطـاهر ـ رضي الله عنهم اجمعين ـ ولقّب بـالصادق لصـدقه في مقـاله، وفضله أشهـر من أن يـذكر. ولـد عام ٨٠ هـ، وتـوفّي عام ١٤٨ هـ، ودفن في البقيع جنب قبر أبيـه محمّد البـاقر وجدّه علي زين العابدين وعم جدّه الحسن بن علي -رضي الله عنهم اجمعين- فللّه درّه من قبر ما أكرمه وأشرفه [١].

قال محمّد بن طلحة: هـو من عظماء أهل البيت وساداتهم، ذو علوم جمّة، وعبادة مـوفورة،وزهادة بيّنة، وتـلاوة كثيرة، يتبع معاني القـرآن الكريم، ويستخرج من بحـره جواهره، ويستنتج عجـائبه، ويقسّم أوقاتـه على أنواع

١ـ وفيات الأعيان ١/ ٣٢٧ رقم الترجمة ٣١.

الطاعات بحيث يحاسب عليها نفسه، رؤيته تذكّر بالآخرة، واستماع كلامه يزهد في الدنيا، والاقتداء بهداه يورث الجنّة، نور قسماته شاهد أنّه من سلالة النبوّة، وطهارة أفعاله تصدع أنّه من ذرّية الرسالة: نقل عنه الحديث واستفاد منه العلم جماعة من أعيان الأئمّة وأعلامهم، مثل: يحيى بن سعيد الأنصاري، وابن جريج، ومالك بن أنس، والثوري، وابن عيينة، وأبو حنيفة، وشعبة، وأبو أيّوب السجستاني وغيرهم ، و عدوا أخذهم عنه منقبة شرّفوا بها وفضيلة اكتسبوها [١].

ذكر أبو القاسم البغّار في مسند أبي حنيفة: قال الحسن بن زياد: سمعت أبا حنيفة وقد سئل: من أفقه من رأيت؟ قال: جعفر بن محمد، لما أقدمه المنصور بعث إليّ فقال: يا أبا حنيفة إنّ الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد فهيّئ لي من مسائلك الشداد، فهيأت له أربعين مسألة، ثمّ بعث إلي أبو جعفر وهو بالحيرة فأتيته.

فدخلت عليه، وجعفر جالس عن يمينه، فلمّا بصرت به، دخلني من الهيبة لجعفر ما لم يدخلني لأبي جعفر، فسلمت عليه، فأومأ إليّ فجلست، ثمّ التفت إليه فقال: يا أبا عبد الله هذا أبو حنيفة. قال: نعم أعرفه، ثمّ التفت إليّ فقال: يا أبا حنيفة ألق على أبي عبد الله من مسائلك فجعلت ألقي عليه فيجيبني فيقول: أنتم تقولون كذا، وأهل المدينة يقولون كذا، ونحن نقول كذا، فربّما تابعنا وربّما تابعهم، وربّما خالفنا جميعاً حتى أتيت على الأربعين مسألة فما أخلّ منها بشيء. ثمّ قال أبو حنيفة: أليس أنّ

١ـ كشف الغمة ٢/ ٣٦٨ وفيه أيّوب السختياني والصحيح ما ذكرناه.

أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس [١].

عن مالك بن أنس: جعفر بن محمد اختلفت إليه زماناً فما كنت أراه إلاّ على احدى ثلاث خصال: إمّا مصلٍّ وإمّا صائم وإمّا يقرأ القرآن، وما رأت عين ولا سمعت أُذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق علماً وعبادة وورعاً [٢].

وعن أبي بحر الجاحظ (مع عدائه لأهل البيت): جعفر بن محمد الذي ملأ الدنيا علمه و فقهه، ويقال: إنّ أبا حنيفة من تلامذته وكذلك سفيان الثوري، وحسبك بهما في هذا الباب [٣].

وأمّا مناقبه وصفاته فتكاد تفوق عدد الحاصر، ويُحار في أنواعها فهم اليقظ الباصر، حتّى أنّ من كثرة علومه المفاضة على قلبه من سجال التقوى، صارت الأحكام التي لا تدرك عللها، والعلوم التي تقصر الأفهام عن الاحاطة بحكمها، تضاف إليه وتروى عنه [٤].

وقال ابن الصباغ المالكي: كان جعفر الصادق -عليه السلام- من بين اخوته، خليفة أبيه، ووصيّه والقائم بالإمامة من بعده، برز على جماعة

١ـ بحار الأنوار، ج٤٧ ص ٢١٧ ـ ٢١٨. أسد حيدر: الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ج٤ ص ٣٣٥ نقلاً عن مناقب أبي حنيفة للمكي ج١ ص ١٧٣ ، وجامع مسانيد أبي حنيفة ج١ ص ٢٥٢، وتذكرة الحفّاظ للذهبي ج١ ص ١٥٧.

٢ـ أسد حيدر: الإمام الصادق ج١ ص ٥٣ نقلاً عن التهذيب، ج٢ ص ١٠٤ والمجالس السنيّة ج٥.

٣ـ أسد حيدر: الإمام الصادق ج١ ص ٥٥ نقلاً عن رسائل الجاحظ ، ص ١٠٦.

٤ـ كشف الغمة ٢/ ٣٦٨.

بالفضل، وكان أنبههم ذكراً وأجلّهم قدراً، نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر صيته وذكره في البلدان، ولم ينقل العلماء عن أحد من أهل بيته ما نقلوا عنه من الحديث.

إنّك إذا تتبّعت كتب التاريخ والتراجم والسير تقف على نظير هذه الكلمات وأشباهها، كلّها تعرب عن اتّفاق الأُمّة على إمامته في العلم والقيادة الروحية، وإن اختلفوا في كونه إماماً منصوصاً من قبل الله عزّ وجلّ، فذهبت الشيعة إلى الثاني نظراً إلى النصوص المتواترة المذكورة في مظانّها [1].

ولقد امتدّ عصر الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ من آخر خلافة عبد الملك ابن مروان إلى وسط خلافة المنصور الدوانيقي، أي من سنة ٨٣ هـ إلى سنة ١٤٨ هـ. فقد أدرك طرفاً كبيراً من العصر الأموي، وعاصر كثيراً من ملوكهم وشاهد من حكمهم أعنف أشكاله، وقضى حياته الأُولى حتى الحادية عشر من عمره مع جده زين العابدين، وحتى الثانية والثلاثين مع أبيه الباقر ونشأ في ظلّهما يتغذّى تعاليمه وتنمو مواهبه وتربّى تربيته الدينية، وتخرّج من تلك المدرسة الجامعة فاختصّ بعد وفاة أبيه بالزعامة سنة ١١٤ هـ، واتسعت مدرسته بنشاط الحركة العلمية في المدينة ومكة والكوفة وغيرها من الأقطار الإسلامية.

«وقد اتّسم العصر المذكور الذي عاشه الإمام بظهور الحركات الفكرية، ووفود الآراء الاعتقادية الغريبة إلى المجتمع الإسلامي وأهمها عنده

---

١ ـ لاحظ الكافي ١/ ٣٠٦ ـ ٣٠٧.

هي حركة الغلاة الهدامة، الذين تطلّعت رؤوسهم في تلك العاصفة الهوجاء إلى بثّ روح التفرقة بين المسلمين، وترعرت بنات أفكارهم في ذلك العصر ليقوموا بمهمة الانتصار لمبادئهم التي قضى عليها الإسلام، فقد اغتنموا الفرصة في بث تلك الآراء الفاسدة في المجتمع الإسلامي، فكانوا يبثّون الأحاديث الكاذبة ويسندونها إلى حملة العلم من آل محمد، ليغرّوا به العامّة، فكان المغيرة بن سعيد يدّعي الاتصال بأبي جعفر الباقر ويروي عنه الأحاديث المكذوبة، فأعلن الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ كذبه والبراءة منه، وأعطى لأصحابه قاعدة في الأحاديث التي تروى عنه، فقال: «لا تقبلوا علينا حديثاً إلاّ ما وافق القرآن والسنّة، أو تجدون معه شاهداً من أحاديثنا المتقدمة».

ثمّ إنّ الإمام قام بهداية الأُمّة إلى النهج الصواب في عصر تضاربت فيه الآراء والأفكار، واشتعلت فيه نار الحرب بين الأمويين ومعارضيهم من العباسيين، ففي تلك الظروف الصعبة والقاسية استغلّ الإمام الفرصة فنشر من أحاديث جدّه، وعلوم آبائه ما سارت به الركبان، وتربّى على يديه آلاف من المحدّثين والفقهاء. ولقد جمع أصحاب الحديث أسماء الرواة عنه من الثقاة ـ على اختلاف آرائهم ومقالاتهم ـ فكانوا أربعة آلاف رجل[1]. وهذه سمة امتاز بها الإمام الصادق عن غيره من الأئمّة ـ عليه وعليهم السلام ـ.

إنّ الإمام ـ عليه السلام ـ شرع بالرواية عن جدّه وآبائه عندما اندفع المسلمون إلى تدوين أحاديث النبيّ ﷺ بعد الغفلة التي استمرّت إلى عام

١ـ الارشاد ٢٧٠ والمناقب لابن شهر آشوب ٤/ ٢٥٧.

١٤٣هـ[1] حيث اختلط آنذاك الحديث الصحيح بالضعيف وتسرّبت إلى السنّة، العديد من الروايات الاسرائيلية والموضوعة من قبل أعداء الإسلام من الصليبيين والمجوس بالاضافة إلى المختلقات والمجعولات على يد علماء السلطة ومرتزقة البلاط الأموي.

ومن هنا فقد وجد الإمام ـ عليه السلام ـ أنّ أمر السنّة النبويّة قد بدأ يأخذ اتجاهات خطيرة وانحرافات واضحة، فعمد ـ عليه السلام ـ للتصدّي لهذه الظاهرة الخطيرة، وتفنيد الآراء الدخيلة على الإسلام والتي تسرّب الكثير منها نتيجة الاحتكاك الفكري والعقائدي بين المسلمين وغيرهم.

إنّ تلك الفترة شكّلت تحدّياً خطيراً لوجود السنّة النبويّة، وخلطاً فاضحاً في كثير من المعتقدات، لذا فإنّ الإمام ـ عليه السلام ـ كان بحق سفينة النجاة من هذا المعترك العسر.

إنّ علوم أهل البيت ـ عليهم السلام ـ متوارثة عن جدّهم المصطفى محمّد ﷺ، الذي أخذها عن الله تعالى بواسطة الأمين جبرئيل ـ عليه السلام ـ ، فلا غرو أن تجد الأُمّة ضالّتها فيهم ـ عليهم السلام ـ ،وتجد مرفأ الأمان في هذه اللجج العظيمة، ففي ذلك الوقت حيث أخذ كل يحدث عن مجاهيل ونكرات ورموز ضعيفة ومطعونة، أو أسانيد مشوشة، تجد أنّ الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ يقول: «حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث علي بن أبي طالب، وحديث علي حديث رسول الله ﷺ، وحديث رسول الله قول الله عزّ وجلّ» .

١ـ تاريخ الخلفاء للسيوطي خلافة المنصور الدوانيقي، فقد حدد تاريخ التدوين بسنة ١٤٣هـ.

بيد أنّ ما يثير العجب أن تجد من يعـرض عن دوحة النبوّة إلى رجال قد كـانوا وبـالاً على الإسلام وأهله وتلك وصمـة عار وتقصير لا عـذر فيه خصوصاً في صحيح البخاري.

فالإمام البخـاري مثلاً يروي ويحتج بمثل مـروان بن الحكم، وعمران ابن حطّان وحريز بن عثمان الرحبي وغيرهم، ويعرض عن الرواية عن الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ.

أمّا الأوّل: فهو الوزغ ابن الـوزغ، اللعين ابن اللعين على لسان رسول الله ﷺ، وأمّا الثاني: فهو الخارجي المعروف الذي أثنى على ابن ملجم بشعره لا بشعوره، وأمّا الثالث: فكان ينتقـص عليّاً وينال منه، ولست أدري لمَ هذا الأمر، إنّه مجرد تساؤل.

إنّ للإمام الصـادق وراء ما نشر عنه من الأحـاديث في الأحكام التي تتجـاوز عشرات الآلاف، مناظـرات مـع الزنـادقـة والملحـدين في عصره، والمتقشفين من الصوفية، ضبط المحقّقـون كثيراً منها، وهي في حد ذاتها ثروة علمية تركها الإمام ـ عليه السلام ـ، و أمّا الـرواية عنه في الأحكام فقـد روى عنه أبان بن تغلب ثلاثين ألف حديثاً.

حتى أنّ الحسن بن علي الوشاء قال: أدركت في هذا المسجد (مسجد الكوفة) تسعمائة شيخ كل يقول حدّثني جعفر بن محمّد [1].

وأمّا مـا أُثر عنـه من المعارف والعقـائد فحدّث عنهـا ولا حرج، ولا يسعنا نقل حتى القليل منها، ومن أراد فليرجع إلى مظانّـها [2].

١ـ الرجال للنجاشي ١٣٩ برقم ٧٩.

٢ـ الاحتجاج ٢/ ٦٩ ـ ١٥٥ والتوحيد للصدوق، وقد بسطها على أبواب مختلفة.

يقول «سيد أمير علي» بعد النقاش حول الفرق المذهبية والفلسفية في عصر الإمام، يقول:

«ولم تتخذ الآراء الدينية اتّجاهاً فلسفياً إلاّ عند الفاطميين، ذلك أنّ انتشار العلم في ذلك الحين أطلق روح البحث والاستقصاء، وأصبحت المناقشات الفلسفية عامّة في كلّ مجتمع من المجتمعات، والجدير بالذكر أنّ زعامة تلك الحركة الفكرية إنّما وجدت في تلك المدرسة التي ازدهرت في المدينة، والتي أسّسها حفيد علي بن أبي طالب المسمّى بالإمام جعفر والملقب بالصادق، وكان رجلاً بحاثة ومفكراً كبيراً جيد الإلمام بعلوم ذلك العصر، ويعتبر أوّل من أسس المدارس الفلسفية الرئيسية في الإسلام.

ولم يكن يحضر محاضراته أُولئك الذين أسّسوا فيما بعد المذاهب الفقهية فحسب،[1] بل كان يحضرها الفلاسفة وطلاب الفلسفة من الأنحاء القصية، وكان الإمام «الحسن البصري» مؤسس المدرسة الفلسفية في مدينة البصرة، وواصل بن عطاء مؤسس مذهب المعتزلة من تلاميذه، الذين نهلوا من معين علمه الفياض وقد عرف واصل والإمام العلوي بدعوتهما إلى حرية إرادة الانسان ...»[2].

وأمّا حِكَمه وقصار كلمه، فلاحظ تحف العقول، وأمّا رسائله فكثيرة منها رسالته إلى النجاشي والي الأهواز، ومنها: رسالته في شرائع الدين نقلها الصدوق في الخصال، ومنها: ما أملاه في التوحيد للمفضل بن عمر، إلى غير

١ـ كأبي حنيفة ومالك.

٢ـ مختصر تاريخ العرب، تعريب: عفيف البعلبكي ص ١٩٣.

ذلك من الرسائل التي رسمها بخطّه (١).

ونقتطف من وصاياه وكلماته الغزيرة وصية واحدة وهي وصيته لسفيان الثوري:

الوقوف عند كل شبهة خير من الاقتحام في الهلكة، وترك حديث لم تروه (٢)، أفضل من روايتك حديثاً لم تحصِه.

إنّ على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالفه فدعوه (٣).

ونختم هذا البحث بما قاله أبو زهرة في هذا المجال:

إنّ للإمام الصادق فضل السبق وله على الأكابر فضل خاص،فقد كان أبو حنيفة يروي عنه، ويراه أعلم الناس باختلاف الناس، وأوسع الفقهاء إحاطة، وكان الإمام مالك يختلف إليه دارساً راوياً وكان له فضل الأُستاذية على أبي حنيفة فحسبه ذلك فضلاً.

وهو فوق هذا حفيد علي زين العابدين الذي كان سيد أهل المدينة في عصره فضلاً وشرفاً وديناً وعلماً، وقد تتلمذ له ابن شهاب الزهري، وكثير من التابعين وهو ابن محمد الباقر الذي بقر العلم ووصل إلى لبابه فهو ممن جعل الله له الشرف الذاتي والشرف الإضافي بكريم النسب، والقرابة الهاشمية، والعترة المحمدية (٤).

١ـ ولقد جمع أسماء هذه الرسائل السيّد الأمين في أعيانه ١/ ٦٦٨.

٢ـ أي لم تروه عن طريق صحيح، والفعل مبني للمجهول.

٣ـ اليعقوبي، التاريخ ج٣ ص ١١٥.

٤ـ محمد أبو زهرة: الإمام الصادق ص ٣٠.

وبما كتبه الأُستاذ أسد حيدر إذ قال:

كان يـؤمّ مدرسته طـلاب العلم ورواة الحديث من الأقطار النـائية، لرفع الرقـابة وعدم الحذر فأرسلت الكوفـة، والبصرة، وواسط، والحجاز إلى جعفر بن محمد أفـلاذ أكبادها، ومن كل قبيلة مـن بني أسد ومخارق، وطي، وسليم، وغطفـان ، وغفـار، والأزد، وخزاعـة، وخثعم، ومخزوم، وبني ضبـة، ومن قريش، ولا سيّما بني الحارث بن عبد المطلب، وبني الحسن بن الحسن ابن علي [١].

ولمّا توفّي الإمام شيّعه عامّـة النـاس في المدينة، وحُمِل إلى البقيع ودفن في جوار أبيه وجدّه ـ عليهما السلام ـ، وقد أنشد فيه أبو هريرة العجلي قوله:

أقـول وقد راحـوا بـه يحملونـه	على كاهـل من حامليه وعـاتق
أتدرون ماذا تحملـون إلى الثرىٰ	ثبيراً ثوى من رأس علياء شاهق
غداة حثا الحاثـون فوق ضريحه	تـرابـاً وأولى كان فـوق المفـارق

فسلام الله عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حيّاً.

٢ـ أسد حيدر: الإمام الصادق ج١ ص ٣٨ نقلاً عن كتاب جعفر بن محمد، لسيد الأهل.

الإمام السابع:

أبو الحسن موسى بن جعفر

-عليهما السلام-

الكاظم

سابع أئمّة أهل البيت الطاهر. ولد بالأبواء بين مكة والمدينة يوم الأحد في ٧ صفر سنة ١٢٨ هـ، واستشهد بالسم في سجن الرشيد عام ١٨٣ هـ، ودفن في بغداد في الجانب الغربي في المقبرة المعروفة بمقابر قريش المشهورة في أيامنا هذه بالكاظمية.

كان -عليه السلام- انموذج عصره، وفريد دهره، جليل القدر، عظيم المنزلة، مهيب الطلعة، كثير التعبّد، يطوي ليله قائماً ونهاره صائماً، عظيم الحلم، شديد التجاوز، حتى سمّي لذلك كاظماً، لاقى من المحن ما تنهد لهولها الجبال فلم تحرّك منه طرفاً، بل كان -عليه السلام- صابراً محتسباً كحال آبائه وأجداده -عليهم السلام-.

يعرف بأسماء عديدة منها: العبد الصالح، والكاظم، والصابر، والأمين.

قال ابن الصباغ: روى عبد الأعلى عن الفيض بن المختار قال: قلت لأبي عبد الله جعفر الصادق ـ عليه السلام ـ: خذ بيدي من النار، من لنا بعدك؟ فدخل موسى الكاظم وهو يومئذ غلام، فقال [أي الصادق ـ عليه السلام ـ]: «هذا صاحبكم فتمسّك به» (١).

قال الشيخ المفيد: هو الإمام بعد أبيه، والمقدّم على جميع بنيه لاجتماع خصال الفضل فيه، وورود صحيح النصوص وجلي الأقوال عليه من أبيه بأنّه ولي عهده والإمام القائم من بعده (٢).

وقد تولّى منصب الإمامة بعد أبيه الصادق ـ عليه السلام ـ في وقت شهدت فيه الدولة العباسية استقرار أركانها وثبات بنيانها، فتنكّرت للشعار الذي كانت تنادي به من الدعوة لآل محمد ـ عليه وعليهم السلام ـ، فالتفتت إلى الوريث الشرعي لشجرة النبوّة مشهرة سيف العداء له ولشيعته تلافياً من تعاظم نفوذه أن يؤثر على أركان دولتهم وينقضها، فشهد الإمام الكاظم ـ عليه السلام ـ طيلة سني حياته صنوف التضييق والمزاحمة، إلاّ أنّ ذلك لم يمنعه ـ عليه السلام ـ من أن يؤدّي رسالته في حماية الدين وقيادة الأُمّة، فعرفه المسلمون آية من آيات العلم والشجاعة، ومعيناً لا ينضب من الحلم والكرم

١ ـ الفصول المهمّة ٢٣١.

٢ ـ لاحظ للوقوف على تلك النصوص الكافي ١/ ٣٠٧ ـ ٣١١، إثبات الهداة ٣/ ١٥٦ ـ ١٧٠ فقد نقل في الأخير ٦٠ نصّاً على إمامته.

والسخاء، ونموذجاً عظيماً لا يدانى في التعبّد والزهد والخوف من الله تعالى.

ولقد أفرد الباحثون والمحقّقون تآليف كثيرة في سيرة هذا الإمام العظيم، كفتنا عن التعرّض لها هنا في هذه العجالة، إلاّ أنّنا سنحاول في هذه الصفحات التعرّض لجوانب مختارة من تلك السيرة العطرة:

١ـ روى الخطيب في تاريخ بغداد بسنده قال: حجّ هارون الرشيد فأتى قبر النبي ﷺ زائراً، وحوله قريش ومعه موسى بن جعفر، فلمّا انتهى إلى القبر قال: السلام عليك يا رسول الله يا بن عمّي ـ افتخاراً على من حوله ـ، فدنى موسى بن جعفر فقال: «السلام عليك يا أبة» فتغيّر وجه الرشيد وقال: هذا الفخر يا أبا الحسن حقّاً[١].

٢ـ ذكر الزمخشري في ربيع الأبرار: أنّ هارون كان يقول لموسى بن جعفر: يا أبا الحسن خذ فدك[٢] حتى أردها عليك، فيأبى، حتى ألحّ عليه فقال: «لا آخذها إلاّ بحدودها» قال: وما حدودها؟ قال: «يا أمير المؤمنين

١ـ وفيات الأعيان ٥/ ٣٠٩.

٢ـ قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة، أفاءها الله تعالى على رسوله ﷺ صلحاً سنة سبع من الهجرة، وأعطاها رسول الله ﷺ إلى ابنته فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين ـ عليها السلام ـ، وكانت ملكاً لها في حياته تستفاد من خيراتها، إلاّ أنّ أبا بكر حرمها منها فاغتاظت منه الزهراء وحاججته في ذلك الأمر لكنّه أبى، وبقيت فدك هكذا حتى ردّها الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز إلى أبناء فاطمة ـ عليها السلام ـ ثمّ نزعها منهم يزيد بن عبد الملك، فلم تزل في أيدي الأمويين حتى ولي العباسيون فدفعها أبو العباس السفاح إلى الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، ثمّ أخذها المنصور، ثمّ أعادها ولده المهدي، ثمّ أخذها موسى الهادي، إلى أن ولي المأمون فأعادها إليهم.

إن حددتها لم تـردها»، قـال: بحق جـدك الاّ فعلت، قال: «أمّـا الحد الأوّل فعدن» فتغيّـر وجه الرشيـد وقال: هيــه، قـال: «والحد الثاني سمــرقنـد» فأربـد وجهه، قال: «والحد الثـالث افريقيا» فاسودّ وجهـه وقال: هيه، قال: «والرابع سيف البحر ممّا يلي الخزر وارمينية»، قـال الرشيد: فلم يبق لنا شيء فتحوّل في مجلسي، قـال موسى ـ عليه السلام ـ: «قـد أعلمتك أنّي إن حـددّتها لم تردّها».

فعند ذلك عزم على قتله (١).

٣ـ كـان يصلّي نوافل الليل ويصلهـا بصلاة الصبح ثـمّ يعقّب حتى تطلع الشمس ويخرّ لله ساجـداً، فلا يرفع رأسه من الـدعاء والتحميد حتى يقرب زوال الشمس.

وكـان يدعـو كثيراً فيقول: «اللّهــمّ إنّي أسألك الـراحة عنـد الموت، والعفو عند الحساب»، ويكرّر ذلك.

وكان مـن دعائه ـ عليه السلام ـ: «عظم الـذنب مـن عبـدك، فليحسن العفو من عندك».

وكان يبكي من خشية الله حتى تخضل لحيته بالدموع.

وكان أوصل الناس لأهله ورحمه.

وكان يتفقّـد فقراء المدينة في الليـل فيحمل إليهم الزنبيـل فيه العين والورق والأدقة والتمور، فيوصل إليهم ذلك ولا يعلمون من أي جهة هو (٢).

١ـ ربيع الأبرار ١/ ٣١٥.

٢ـ المفيد: الارشاد ٢٩٦.

٤ـ في تحف العقول للحسن بن علي بن شعبة: قال أبو حنيفة: حججت في أيام أبي عبد الله الصادق ـعليه السلامـ فلمّا أتيت المدينة دخلت داره فجلست في الدهليز أنتظر إذنه، إذ خرج صبي فقلت: يا غلام أين يضع الغريب الغائط من بلدكم؟ قال: «على رسلك»، ثمّ جلس مستنداً إلى الحائط، ثمّ قال: «توقّ شطوط الأنهار، ومساقط الثمار، وأفنية المساجد، وقارعة الطريق، وتوار خلف جدار، وشل ثوبك، ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها، وضع حيث شئت» فأعجبني ما سمعت من الصبي فقلت له: ما اسمك؟ فقال: «أنا موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب» فقلت له: يا غلام ممّن المعصية؟ فقال: «إنّ السيّئات لا تخلو من احدى ثلاث: إمّا أن تكون من الله وليست من العبد فلا ينبغي للربّ أن يعذّب العبد على ما لا يرتكب، وإمّا أن تكون منه ومن العبد وليست كذلك فلا ينبغي للشريك القوي أن يظلم الشريك الضعيف، وإمّا أن تكون من العبد ـ وهي منه ـ فإن عفا فكرمه وجوده وإن عاقب فبذنب العبد وجريرته».

قال أبو حنيفة: فانصرفت ولم ألق أبا عبد الله واستغنيت بما سمعت.

وروى ابن شهر آشوب في المناقب نحوه إلاّ أنّه قال: «يتوارى خلف الجدار ويتوقّى أعين الجار»، وقال: فلمّا سمعت هذا القول منه نبل في عيني، وعظم في قلبي. وقال في آخر الحديث: فقلت: ذرّية بعضها من بعض [1].

١ـ تحف العقول ٣٠٣، المناقب لابن شهر آشوب ٤/ ٣١٤.

٥ـ روى أبو الفرج الاصفهاني: حدثنا يحيى بن الحسن قال: كان موسى بن جعفر إذا بلغه عن الرجل ما يكره بعث إليه بصرّة دنانير. وكانت صراره ما بين الثلاثمائة و إلى المائتين دينار، فكانت صرار موسى مثلا.

وقال: إنّ رجلاً من آل عمر بن الخطاب كان يشتم علي بن أبي طالب إذا رأى موسى بن جعفر، ويؤذيه إذا لقيه، فقال له بعض مواليه وشيعته: دعنا نقتله، فقال: «لا»، ثمّ مضى راكباً حتى قصده في مزرعة له فتواطأها بحماره، فصاح: لا تدس زرعنا.

فلم يصغ إليه وأقبل حتى نزل عنده فجلس معه وجعل يضاحكه، وقال له: «كم غرمت على زرعك هذا»؟ قال: مائة درهم، قال: «كم ترجو أن تربح»؟ قال: لا أدري، قال: «إنّما سألتك كم ترجو»، قال: مائة أُخرى. قال: فأخرج ثلاثمائة دينار فوهبه له، فقام فقبّل رأسه، فلمّا دخل المسجد بعد ذلك وثب العمري فسلّم عليه وجعل يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته.

وكان بعد ذلك كلّما دخل موسى خرج وسلّم عليه ويقوم له، فقال موسى لجلسائه الذين طلبوا قتله: «أيّما كان خيراً ما أردتم أو ما أردت» [1].

٦ـ حكي أنّ الرشيد سأله يوماً: كيف قلتم نحن ذرّية رسول الله ﷺ وأنتم بنو علي و إنّما ينسب الرجل إلى جدّه لأبيه دون جدّه لأُمّه؟ فقال الكاظم ـ عليه السلام ـ : «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بِسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم:

١ـ مقاتل الطالبيين ٤٩٩ ـ ٥٠٠ ، تاريخ بغداد ٢٨.

﴿ومِنْ ذُرِّيَّـتِهِ داوُدَ وَسُلَيْمانَ وَأَيُّوبَ ويُوسُفَ ومُـوسى وهٰرون وَكَذٰلكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ * وَزَكَريّـا وَيَحْيىٰ وَعِيسىٰ وإلْيـاسَ...﴾ وليس لعيسـى أب إنّما أُلحق بذريّة الأنبيـاء من قبل أُمّه، وكذلـك أُلحقنا بذريّة النبي مـن قبل أُمّنا فاطمـة الزهـراء، وزيادة أُخـرى يا أمير المؤمنين: قال الله عـزّ وجلّ: ﴿فَمَنْ حاجَّكَ فِيـهِ مِنْ بَعدِ ما جـاءَكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تَعالَـوا نَدْعُ أبناءَنـا وأبناءَكُمْ ونِساءَنا ونِساءَكُمْ وأنفُسنَا وأنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ...﴾ ولم يدع ﷺ عند مباهلة النصارى غير علي وفاطمة والحسن والحسين وهما الأبناء»[1].

٧ـ أمّـا علمه والحديث عنه فقـد روى عنه العلماء في فنون العلـم ما ملأ الكتـب، وكان يعرف بين الـرواة بالعالم. وقـد روى الناس عنه فـأكثروا، وكان أفقه أهل زمانه وأحفظهم لكتاب الله[2].

وقد اتفقت كلمة المؤرّخين على أنّ هارون الرشيـد قام باعتقال الإمام الكاظم ـ عليه السلام ـ و إيداعه السجـن لسنين طويلة مع تأكيـده على سجّانيه بالتشديد والتضييق عليه.

قـال ابن كثير: فلما طال سجـن الإمام الكـاظم ـ عليه السلام ـ كتـب إلى الرشيد: أمّا بعد يا أمير المؤمنين إنّـه لم ينقض عنّي يوم من البلاء إلاّ انقضى عنك يوم من الرخاء، حتى يفضي بنا ذلك إلى يوم يخسر فيه المبطلون[3].

ولم يزل ذلك الأمـر بالإمام ـ عليه السلام ـ ، يُنقل مـن سجن إلى سجـن

١ـ الفصول المهمّة ٢٣٨، والآيتان من سورتي الأنعام ٨٤، وآل عمران ٦١.

٢ـ المفيد:الارشـاد ٢٩٨، ولاحظ جوانب من حكمه ووصايـاه في الكافي ١/ ١٣ ـ ٢٠، وتحف العقول ٢٨٣.

٣ـ البدايةوالنهاية ١٠/ ١٨٣.

حتى انتهى به الأمر إلى سجن السندي بن شاهك [١]، وكان فاجراً فاسقاً، لا يتورّع عن أي شيء تملّقاً ومداهنة للسلطان، فغالى في سجن الإمام-عليه السلام- وزاد في تقييده حتى جاء أمر الرشيد بدسّ السم للكاظم-عليه السلام-، فأسرع السندي إلى انفاذ هذا الأمر العظيم واستشهد الإمام -عليه السلام- بعد طول سجن ومعاناة في عام ١٨٣ هـ.

ولما كان الرشيد يخشى ردّة فعل المسلمين عند انتشار خبر استشهاد الإمام-عليه السلام- ،لذا عمد إلى حيلة ماكرة للتنصّل من تبعة هذا الأمر الجلل، فقد ذكر أبو الفرج الاصفهاني وغيره [٢]: إنّ الإمام الكاظم لما توفّي مسموماً أُدخل عليه الفقهاء ووجوه أهل بغداد، وفيهم الهيثم بن عدي وغيره ليشهدوا على أنّه مات حتف أنفه دون فعل من الرشيد وجلاوزته، ولما شهدوا على ذلك أُخرج بجثمانه الطاهر ووضع على الجسر ببغداد ونودي بوفاته. فالسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد سجيناً مظلوماً مسموماً، ويوم يبعث حياً.

١ـ قال أبو الفرج الاصفهاني في مقاتل الطالبيين ٥٠٢: لمّا اعتقل الرشيد الإمام الكاظم -عليه السلام- أمر بارساله إلى البصرة ليسجن عند عيسى بن جعفر المنصور، وكان على البصرة حينئذ، فحبس عنده سنة، ثمّ كتب إلى الرشيد: أن خذه منّي وسلّمه إلى من شئت، وإلاّ خلّيت سبيله، فقد اجتهدت أن آخذ عليه حجّة فما أقدر على ذلك، حتى أنّي لأتسمّع عليه إذا دعا لعلّه يدعو عليّ أو عليك، فما أسمعه يدعو إلاّ لنفسه، يسأل الله الرحمة والمغفرة.

فوجّه الرشيد من تسلّمه، وحبسه عند الفضل بن الربيع في بغداد، فبقي عنده مدة طويلة، ثمّ كتب إليه ليسلّمه إلى الفضل بن يحيى، فتسلّمه منه، وطلب منه أن يعمد إلى قتل الإمام كما طلب من عيسى بن جعفر فلم يفعل، بل عمد إلى إكرام الإمام-عليه السلام- والاحتفاء به، ولما بلغ الرشيد ذلك أمر به أن يجلد مائة سوط، ثمّ أخذ الإمام منه وسلّمه إلى السندي بن شاهك لعنه الله، وكانت نهاية حياة الإمام الطاهرة على يده الفاجرة.

٢ـ مقاتل الطالبيين ٥٠٤.

الإمام الثامن:

علي بن موسى بن جعفر

-عليهم السلام-

الرضا

هو الإمام الثامن من أئمّة أهل البيت -عليهم السلام-، القائم بالإمام بعد أبيه موسى بن جعفر -عليهما السلام- لفضله على جماعة أهل بيته وبنيه واخوته في عصره، ولعلمه وورعه وكفاءته لمنصب الإمامة، مضافاً إلى النصوص الواردة في حقّه من أبيه على إمامته [1].

ولد في المدينة سنة ١٤٨ هـ، واستشهد في طوس من أرض خراسان في صفر ٢٠٣ هـ، وله يومئذ ٥٥ سنة، وكانت مدة إمامته بعد أبيه ٢٠ سنة [2].

١ـ لاحظ للوقوف على النصوص، الكافي ١/ ٣١١ـ ٣١٩ والارشاد ٣٠٤ ـ ٣٠٥، واثبات الهداة ٣/ ٢٢٨ روي فيه ٦٨ نصاً على إمامته.

٢ـ الارشاد ٣٠٤.

قال الواقدي: علي بن موسى، سمع الحديث من أبيه وعمومته وغيرهم، وكان ثقة يفتي بمسجد رسول الله ﷺ وهو ابن نيف وعشرين سنة، وهو من الطبقة الثامنة من التابعين من أهل المدينة [١].

قال الشيخ كمال الدين بن طلحة: ومن أمعن نظره وفكره، وجده في الحقيقة وارثهما (المراد علي بن أبي طالب وعلي بن الحسين ـ عليهما السلام ـ) نما إيمانه، وعلا شأنه، وارتفعت مكانته، وكثر أعوانه، وظهر برهانه، حتى أدخله الخليفة المأمون محل مهجته، وأشركه في مملكته، وفوّض إليه أمر خلافته، وعقد له على رؤوس الأشهاد عقد نكاح ابنته، وكانت مناقبه عليّة، وصفاته ثنيّة، ونفسه الشريفة زكيّة هاشميّة، وارومته النبوية كريمة [٢].

وقد عاش الإمام الرضا ـ عليه السلام ـ في عصر ازدهرت فيه الحضارة الإسلامية،وكثرت الترجمة لكتب اليونانيين والرومانيين وغيرهم، وازداد التشكيك في الأُصول والعقائد من قبل الملاحدة وأحبار اليهود، وبطارقة النصارى، ومجسّمة أهل الحديث.

وفي تلك الأزمنة أُتيحت له ـ عليه السلام ـ فرصة المناظرة مع المخالفين على اختلاف مذاهبهم، فظهر برهانه وعلا شأنه. يقف على ذلك من اطّلع على مناظراته واحتجاجاته مع هؤلاء [٣].

١ـ ابن الجوزي: تذكرة الخواص ٣١٥.

٢ـ الفصول المهمة ٢٤٣ نقلاً عن مطالب السؤول.

٣ـ لقد جمع الشيخ الطبرسي قسماً من هذه الاحتجاجات في كتابه «الاحتجاج» ٢/ ١٧٠ ـ ٢٣٧ طبع النجف.

ولأجل ايقاف القارئ على نماذج من احتجاجاته نذكر ما يلي:

دخل أبو قرة المحدّث على أبي الحسن الرضا ـ عليه السلام ـ فقال: روينا أنّ الله قسّم الرؤية والكلام بين نبيّين، فقسم لموسى ـ عليه السلام ـ الكلام ولمحمّد ﷺ الرؤية.

فقال أبو الحسن ـ عليه السلام ـ: «فمن المبلّغ عن الله إلى الثقلين الجنّ والإنس: إنّه ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾، و ﴿**لا يحيطون به علماً**﴾، و ﴿**ليس كمثله شيء**﴾، أليس محمد ﷺ» ؟قال: بلى.

قال: «فكيف يجيئ رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنّه جاء من عند الله وأنّه يدعوهم إلى الله بأمر الله، فيقول: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾، و ﴿**لا يحيطون به علماً**﴾، و ﴿**ليس كمثله شيء**﴾، ثمّ يقول: أنا رأيته بعيني وأحطت به علماً، وهو على صورة البشر. أما تستحيون؟! ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا : أن يكون أتى عن الله بأمر ثمّ يأتي بخلافه من وجه آخر».

فقال أبو قرة: فإنّه يقول: ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نزلةً أُخرى**﴾ .

فقال أبو الحسن ـ عليه السلام ـ: «إنّ بعد هذه الآية ما يدل على ما رأى حيث قال: ﴿**ما كذب الفؤادُ ما رأى**﴾ يقول: ما كذب فؤاد محمّد ﷺ ما رأت عيناه ثمّ أخبر بما رأى فقال: ﴿**لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الكُبْرىٰ**﴾ فآيات الله غير الله، وقال: ﴿**لا يُحيطون بِهِ عِلْماً**﴾ فإذا رأته الأبصار فقد أحاط به العلم ووقعت المعرفة».

فقال أبو قرة: فتكذّب بالرواية؟

فقال أبو الحسن: «إذا كانت الرواية مخالفة للقرآن كذّبتها، وما أجمع

المسلمون عليه: إنّه لا يحاط به علماً، ولا تدركه الأبصار، وليس كمثله شيء»[١].

ولما انتشر علم الإمام وفضله، أخذت الأفئدة والقلوب تشدّ إليه، وفي الأُمّة الإسلامية رجال واعون يميزون الحق من الباطل، فكثر التفاف المسلمين حول الإمام الرضا ـ عليه السلام ـ وازدادت أعدادهم، ممّا دفع بالخلافة العباسية إلى محاولة سحب البساط من تحت أرجل الإمام ـ عليه السلام ـ وأعوانه قبل أن تستفحل الأُمور ويصعب السيطرة على الموقف بعدها، فلجأ المأمون إلى مناورة ذكية ما كرة استطاع من خلالها قلب تيار الأحداث لصالحه، حيث استقدم الإمام الرضا ـ عليه السلام ـ وجملة من وجوه الطالبيين إلى مقر الحكومة آنذاك في مرو من مدينة رسول الله ﷺ، معززين مكرّمين حتى أنزلوهم إلى جوار مقر الخلافة ريثما يلتقي المأمون بالإمام علي بن موسى ـ عليه السلام ـ.

وما كان من المأمون إلاّ أن بعث إلى الإمام الرضا ـ عليه السلام ـ قبل اجتماعه به: إنّي أُريد أن أخلع نفسي من الخلافة وأُقلّدك إيّاها فما رأيك؟ فأنكر الرضا ـ عليه السلام ـ هذا الأمر وقال له: «أُعيذك بالله يا أمير المؤمنين من هذا الكلام وأن يسمع به أحد» فرد عليه الرسالة: فإذا أبيت ما عرضت عليك فلابد من ولاية العهد بعدي، فأبى عليه الرضا اباءً شديداً.

فاستدعاه وخلا به ومعه الفضل بن سهل ذو الرياستين ـ ليس في المجلس غيرهم ـ وقال له: إنّي قد رأيت أن أُقلّدك أمر المسلمين وأفسخ ما

١ـ الاحتجاج للطبرسي ٢/ ١٨٤.

في رقبتي وأضعه في رقبتك.

فقال له الرضا ـ عليه السلام ـ: «الله الله يا أمير المؤمنين إنّه لا طاقة لي بذلك ولا قوّة لي عليه».

قال له: فإنّي موليك العهد من بعدي.

فقال له: «اعفني من ذلك يا أمير المؤمنين».

فقال له المأمون ـ كلاماً فيه التهديد له على الامتناع عليه وقال في كلامه ـ: إنّ عمر بن الخطاب جعل الشورى في ستة أحدهم جدّك أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ وشرط فيمن خالف منهم أن يضرب عنقه، ولابد من قبولك ما أُريد منك فإنّي لا أجد محيصاً عنه.

فقال له الرضا ـ عليه السلام ـ: «فإنّي أُجيبك إلى ما تريد من ولاية العهد على أنّني لا آمر، ولا أنهى، ولا أفتي، ولا أقضي، ولا أُولي، ولا أعزل، ولا أُغير شيئاً ممّا هو قائم» فأجابه المأمون إلى ذلك كلّه [١].

أقول: ليس بخاف على ذي لب مغزى اصرار المأمون على تولية الإمام الرضا ـ عليه السلام ـ لمنصب ولاية العهد، وتبدو هذه الصورة واضحة عند استقراء الأحداث التي سبقت أو رافقت هذه المؤامرة المحكمة.

فعندما قدّم هارون الرشيد ولده الأمين رغم اقراره ومعرفته بقوة شخصية المأمون وذكائه قياساً بأخيه المدلل الذي لا يشفع له إلاّ مكانة أُمّه زبيدة الحاكمة في قصر الرشيد، كان يعني ذلك ايذاناً بقيام الفتنة التي حصلت من بعد وراح ضحيتها عشرات الأُلوف وعلى رأسهم الأمين الذي

١ـ الارشاد للمفيد ٣١٠.

وقف العباسيون إلى صفّه وقاتلوا معه، ولما انتقلت السلطة بأكملها إلى المأمون المستقر في خراسان والمدعوم بأهلها آنذاك، فقد واجه خطر نقمة أكثر العباسيين وعدائهم له وتحيّنهم الفرص السانحة للانقضاض عليه وعلى حكمه.

وفي الجانب الآخر كان الشيعة في كلّ مكان يرفضون ويناصبون الخلافة العباسية العداء نتيجة سوء صنيعهم وظلمهم للعلويين ولآل البيت خاصة، والذين يشكل شيعة خراسان جانباً مهماً منهم.

وكان في أوّل سنة لخلافة المأمون أن خرج السري بن منصور الشيباني المعروف بأبي السرايا في الكوفة منادياً بالدعوة لمحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن الحسن بن الحسن بن علي ـ عليه السلام ـ حيث بايعه عامة الناس على ذلك.

وفي المدينة خرج محمد بن سليمان بن داود بن الحسن، وفي البصرة علي بن محمد بن جعفر بن علي بن الحسين وزيد بن موسى بن جعفر الملقب بزيد الغار، وفي اليمن إبراهيم بن موسى، ومن ثمّ فقد ظهر في المدينة أيضاً الحسن بن الحسين بن علي بن الحسين المعروف بالأفطس.

وهكذا فقد اندلعت في أنحاء الدولة الكثير من الثورات تناصرها الآلاف من الناس الذين ذاقوا الأمرّين من حكم الطواغيت والظلمة.

وهكذا فقد أدرك المأمون مدى تأزّم الموقف وتخلخل وضع الحكومة آنذاك، فلم يجد بداً من تظاهره أمام الرأي العام الشيعي ـ الذي كان من أقوى التيارات المؤهلة للاطاحة بالخلافة العباسية دون أي شك ـ بتنازله عن الخلافة ـ التي قتل أخاه من أجلها ـ إلى الإمام الرضا ـ عليه السلام ـ إمام الشيعة

وقائدهم.

وهكذا فبعد قبول علي بن موسى الرضا ـ عليهما السلام ـ بولاية العهد قام بين يديـه الخطباء والشعـراء، فخفقت الألويـة على رأسه، وكـان فيمن ورد عليـه من الشعـراء دعبل بـن علي الخزاعي، فلمّـا دخل عليـه قـال: قلت قصيدة وجعلـت على نفسي أن لا أنشدهـا أحداً قبلك، فـأمره بـالجلوس حتى خفّ مجلسه ثمّ قال له: «هاتها» فأنشد قصيدته المعروفة:

مدارس آيات خلت من تلاوة ... ومنزل وحـي مقفر العـرصات

لآل رسول الله بالخيف من منىً ... وبالركن والتعريف والجمراتِ

ديـار علي والحسين وجعفـر ... وحمزة والسجـاد ذي الثفنـاتِ

ديـار عفاهـا كلّ جون مبـادر ... ولم تعـف لـلأيـام والسنـواتِ

إلى أن قال:

قبـور بكـوفان وأُخـرى بطيبـة ... وأُخـرى بفـخ نـالها صلـواتي

وقبر ببغـــداد لنفـس زكيـــة ... تضمّنهـا الـرحمن بـالغـرفـاتِ

فأمّا المصمات التي لست بالغاً ... مبـالغهـا مني بكنـه صفـاتِ

إلى الحشر حتى يبعث الله قائماً ... يفـرِّج منهـا الهم والكـربـات

إلى أن قال:

ألم تـر أنّي مـذ ثـلاثين حجـة ... أروح وأغـدو دائم الحسرات؟

أرى فيئهـم في غيرهـم متقسماً ... وأيـديهم من فيئهـم صفـرات

إذا وتروا مـدّوا إلى أهل وتـرهم ... أكفّـاً مـن الأوتـار منقبضـات

حتى أتى على آخرها، فلمّا فرغ من إنشادها قام الرضا ـ عليه السلام ـ فدخل إلى حجرته وأنفذ إليه صُرّة فيها مائة دينار واعتذر إليه، فردّها دعبل وقال: والله ما لهذا جئت، وإنّما جئت للسلام عليك والتبرّك بالنظر إلى وجهك الميمون، وإنّي لفي غنى، فإن رأيت أن تعطني شيئاً من ثيابك للتبرّك فهو أحب إليّ. فأعطاه الرضا جبّة خز وردّ عليه الصرّة [1].

كان الإمام في مرو يقصده البعيد والقريب من مختلف الطبقات وقد انتشر صيته في بقاع الأرض، وعظم تعلّق المسلمين به، ممّا أثار مخاوف المأمون وتوجّسه من أن ينفلت زمام الأمر من يديه على عكس ما كان يتمناه، وما كان يبتغيه من ولاية العهد هذه، وقوّى ذلك الظن أنّ المأمون بعث إليه يوم العيد في أن يصلّي بالناس ويخطب فيهم فأجابه الرضا ـ عليه السلام ـ: «إنّك قد علمت ما كان بيني وبينك من الشروط في دخول الأمر، فاعفني في الصلاة بالناس». فقال له المأمون: إنّما أُريد بذلك أن تطمئن قلوب الناس، ويعرفوا فضلك.

ولم تزل الرسل تتردّد بينهما في ذلك، فلمّا ألحّ عليه المأمون، أرسل إليه الرضا: «إن أعفيتني فهو أحبّ إليّ وإن لم تعفني خرجت كما خرج رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ» فقال له المأمون: أُخرج كيف شئت. وأمر القوّاد والحجاب والناس أن يبكروا إلى باب الرضا ـ عليه السلام ـ.

قال: فقعد الناس لأبي الحسن ـ عليه السلام ـ في الطرقات والسطوح،

---

١ ـ الفصول المهمّة ٢٤٦، الارشاد ٣١٦، الأغاني ١٨/ ٥٨، زهر الآداب ١/ ٨٦، معاهد التنصيص ١/ ٢٠٥، الاتحاف ١٦٥، تاريخ دمشق ٥/ ٢٣٤ وللقصّة صلة ومن أراد فليراجع إلى المصادر المذكورة.

واجتمع النساء والصبيان ينتظرون خروجه، فاغتسل أبو الحسن ولبس ثيابه وتعمّم بعمامةٍ بيضاء من قطنٍ، ألقى طرفاً منها على صدره وطرفاً بين كتفه، ومسّ شيئاً من الطيب، وأخذ بيده عكازة وقال لمواليه: «افعلوا مثل ما فعلت» فخرجوا بين يديه وهو حاف قد شمر سراويله إلى نصف الساق وعليه ثياب مشمرة، فمشى قليلاً ورفع رأسه إلى السماء وكبّر وكبّر مواليه معه، فلمّا رآه الجند والقوّاد سقطوا كلّهم عن الدواب إلى الأرض، ثمّ كبّر وكبّر الناس فخيل إلى الناس أنّ السماء والحيطان تجاوبه، وتزعزعت مرو بالبكاء والضجيج لما رأوا الإمام الرضا ـ عليه السلام ـ وسمعوا تكبيره، فبلغ المأمون ذلك فقال له الفضل بن سهل: إن بلغ الرضا المصلّى على هذا السبيل فتن به الناس، وخفنا كلّنا على دمائنا، فأنفذ إليه أن يرجع. فأرسل إليه من يطلب منه العودة، فرجع الرضا ـ عليه السلام ـ واختلف أمر الناس في ذلك اليوم [١].

وقد أشار الشاعر البحتري إلى تلك القصّة بأبيات منها:

ذكروا بطلعتك النبيّ فهللوا ... لما طلعت من الصفوف وكبّروا

حتى انتهيت إلى المصلّى لابساً ... نور الهدى يبدو عليك فيظهر

ومشيت مشية خاشع متواضع ... لله لا يزهى ولا يتكبر [٢]

إنّ هذا وأمثاله، وبالأخص خروج أخ المأمون زيد بن موسى بالبصرة على المأمون، لأنّه فوض ولاية العهد لعلي بن موسى الرضا الذي كان في

١ـ المفيد: الارشاد ٣١٢.

٢ـ أعيان الشيعة ٢/ ٢١ ـ ٢٢.

تصـوّره سيؤدي إلى خـروج الأمر من بيـت العباسيين، كل ذلـك وغيره دفع المأمون إلى أن يريح نفسه وقومه مـن هذا الخطر فدسّ إليه السم على النحو المذكور في كتب التاريخ.

ومن لطيف ما نقل عن أبي نواس أنّـه كان ينشد الشعر في كلّ جليل وطفيف ولم يمـدح الإمـام، ولما عوتب على ذلـك من قبل بعـض أصحابـه حيث قـال له: مـا رأيت أوقح منك، مـا تركت خمراً ولا طـرداً ولا معنىً إلاّ قلت فيه شيئاً، وهذا علي بن موسى الـرضا في عصرك لم تقل فيه شيئاً، فقال أبو نـواس: والله ما تركت ذلك إلاّ اعظـاماً له، وليس قـدر مثلي أن يقول في مثله، ثمّ أنشد بعد ساعة هذه الأبيات:

قيـل لي أنـت أحسـن النـاس طـراً

في فنـون مـن الكـلام النبيـه

لـك مـن جَيِّـد القـريض مـديحٌ

يثمـر الـدر في يـدي مجتنيـه

فعـلامَ تـركـت مـدح ابـن مـوسى

والخصـال التـي تجمّعـن فيـه

قلـت لا أستطيـع مـدح إمـامٍ

كـان جبريـلُ خـادمـاً لأبيـه

وقال فيه ـ عليه السلام ـ أيضاً:

مطهّـــرون نقيـــات جيـــوبهم
تجري الصـــلاة عليهـم أينما ذكـــروا

مـن لم يكـــن علـــويـــاً حين تنسبـــه
فما لـــه في قـــديـم الـدهـــر مفتخـــر

الله لمّـــا بـــرا خلقـــا فـــأتقنـــه
صَفّـــاكُمُ واصطفـــاكـم أيّها البشر

فـــأنتـــم الملأ الأعلى وعنـــدكـــم
علـم الكتـاب ومـا جـاءت به السـور [١]

ولما استشهد الإمام ـ عليه السلام ـ دفن في مـدينة طوس في قبر مـلاصق لقبر هارون الـرشيد، وقبر الإمام الرضـا الآن مزار مهيب يتقاطـر المسلمون على زيارته والتبرك به.

فسلام الله عليه يوم ولد، ويوم استشهد، ويوم يبعث حياً.

١ ـ ابن خلّكان: وفيات الأعيان ٣/ ٢٧٠.



الإمام التاسع:

محمّد بن علي بن موسى

ـ عليهم السلام ـ

الجواد

هو الإمام التاسع من أئمّة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ، ولد بالمدينة المنورة في شهر رمضان من سنة خمس وتسعين بعد المائة، فورث الشرف من آبائه وأجداده، واستسقت عروقه من منبع النبوّة، وارتوت شجرته من منهل الرسالة.

قام بأمر الولاية بعد شهادة والده الرضا ـ عليه السلام ـ عام ٢٠٣ هـ، واستشهد ببغداد عام ٢٢٠هـ، أدرك خلافة المأمون وأوائل خلافة المعتصم.

أمّا إمامته ووصايته فقد وردت فيها النصوص الوافرة [١].

١ـ أنظر الكافي ١/ ٣٢٠ـ ٣٢٣، اثبات الهداة ٣/ ٣٢١ـ ٣٢٨.

يلقّب بالجواد والقانع والمرتضى والنجيب والتقي والزكي وغيرها من الألقاب الدالّة على علو شأنه وارتفاع منزلته.

أقول: لمّا توفّي الرضا ـ عليه السلام ـ كان الإمام الجواد في المدينة وقام بأمر الإمامة بوصية من أبيه.وله من العمر تسع أو عشر سنين، وكان المأمون قد مارس معه نفس السياسة التي مارسها مع أبيه ـ عليه السلام ـ خلافاً لأسلافه من العباسيين، حيث إنّهم كانوا يتعاملون مع أئمّة أهل البيت بالقتل والسجن، وكان ذلك يزيد في قلوب الناس حبّاً لأهل البيت وبغضاً للخلفاء، ولمّا شعر المأمون بذلك بدّل ذلك الاسلوب باسلوب آخر وهو استقدام أهل البيت من موطنهم إلى دار الخلافة لكي يشرف على حركاتهم وسكناتهم، وقد استمرت هذه السياسة في حقّهم إلى الإمام الحادي عشر كما ستعرف.

وما كان من المأمون عندما استقدم الإمام إلى مركز الخلافة، إلاّ أن شغف به لما رأى من فضله مع صغر سنّه وبلوغه في العلم والحكمة والأدب وكمال العقل ما لم يساوه فيه أحد من مشايخ أهل الزمان، فزوّجه ابنته أُمّ الفضل وحملها معه إلى المدينة، وكان حريصاً على اكرامه وتعظيمه واجلال قدره، ونحن نكتفي في المقام بذكر أمرين:

١ـ لمّا توفّي الإمام الرضا ـ عليه السلام ـ وقدم المأمون بغداد، اتّفق أنّ المأمون خرج يوماً يتصيّد، فاجتاز بطرف البلدة وصبيان يلعبون ومحمّد الجواد واقف عندهم، فلمّا أقبل المأمون فرّ الصبيان ووقف محمّد الجواد، وعمره آنذاك تسع سنين، فلمّا قرب منه الخليفة قال له: يا غلام ما منعك أن لا تفرّ كما فرّ أصحابك؟! فقال له محمّد الجواد مسرعاً: «يا أمير المؤمنين فرّ أصحابي فرقاً والظنّ بك حسن أنّه لا يفرّ منك من لا ذنب له، ولم يكن

بالطريق ضيق فأنتحي» فأعجب المأمون كـلامه وحسن صورته فقال له: ما اسمك يا غلام؟ قال: «محمّد بن علي الرضا ـ عليه السلام ـ» فترحّم على أبيه [١].

٢ـ لمّا أراد المأمون تزويج ابنته أُمّ الفضل من الإمام الجواد ثقل ذلك على العباسيين وقـالوا لـه: ننشدك الله أن تقيم على هـذا الأمر الذي عـزمت عليه من تـزويج ابن الرضا فانّـا نخاف أن تخرج به عنّا أمـراً قد ملّكناه الله! وتنزع منّـا عزّاً قـد ألبسناه الله! فقد عـرفت ما بيننـا وبين هؤلاء القـوم قديما وحديثاً، وما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك من تبعيدهم والتصغير بهم، وقد كنّا في وهلة من عملك مع الـرضا حتى كفى الله المهم من ذلك ـ إلى أن قالـوا ـ: إنّ هذا الفتى وإن راقك منـه هديه فإنّـه صبي لا معرفة لـه فأمهله حتى يتأدّب ويتفقّه في الدين ثمّ اصنع ما ترى.

قـال المأمـون: ويحكم إنّي أعـرف بهذا الفتى منكـم، وإنّ أهل هـذا البيت علمهـم من الله تعـالى وإلهامه، ولم يـزل آبـاؤه أغنيـاء في علم الـدين والأدب من الرعايـا الناقصة عن حد الكمال، فإن شئتم فامتحنـوا أبا جعفر حتى يتبيّـن لكم ما وصفت لكم من حاله. قالوا: رضينا.

فخرجوا واتّفق رأيهم على أنّ يحيى بن أكثم يسألـه مسألة وهو قاضي الزمان فأجابهم المأمون على ذلك.

واجتمع القوم في يوم اتّفقوا عليـه، وأمر المأمون أن يفرش لأبي جعفر دست ففعل ذلك، وجلس يحيى بن أكثم بين يديه، وقام الناس في مراتبهم، والمأمون جالس في دست متّصل بدست أبي جعفر ـ عليه السلام ـ.

١ـ الفصول المهمّة ٢٦٦.

فقال يحيى بن أكثم للمأمون: أتأذن لي يا أمير المؤمنين أن أسأل أبا جعفر؟

فقال: استأذنه في ذلك.

فأقبل عليه يحيى وقال: أتأذن لي جعلت فداك في مسألة؟

فقال : «سل إن شئت».

فقال: ما تقول ـ جعلت فداك ـ في مُحْرم قتل صيداً؟

فقال أبو جعفر ـ عليه السلام ـ : «في حل أو حرم؟ عالماً كان المحرم أو جاهلاً؟ قتله عمداً أو خطأ؟ حرّاً كان المحرم أو عبداً؟ صغيراً كان أو كبيراً؟ مبتدئاً كان بالقتل أو معيداً؟ من ذوات الطير كان الصيد أم غيرها؟ من صغار الصيد أم كبارها؟ مصرّاً كان على ما فعل أو نادماً؟ ليلاً كان قتله للصيد أم نهاراً؟ محرماً كان بالعمرة إذ قتله أو بالحج كان محرماً؟».

فتحيّر يحيى وبان في وجهه العجز والانقطاع، وتلجلج حتى عرف أهل المجلس أمره.

فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي، ثمّ قال لأبي جعفر ـ عليه السلام ـ : اخطب لنفسك فقد رضيتك لنفسي وأنا مزوّجك أُمّ الفضل ابنتي [1].

ولمّا تمّ الزواج قال المأمون لأبي جعفر: إن رأيت ـ جعلت فداك ـ أن تذكر الجواب فيما فصّلته من وجوه قتل المُحْرم الصيد لنعلمه ونستفيده.

---

١ ـ الارشاد ٣١٩ ـ ٣٢١، وإعلام الورى ٣٥٢ وللقصّة صلة فراجع.

فقال أبو جعفر ـ عليه السلام ـ: «إنّ المحرم إذا قتل صيداً في الحل وكان الصيد من ذوات الطير وكان من كبارها فعليه شاة، فإن أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً، فإن قتل فرخاً في الحل فعليه حمل قد فطم من اللبن، وإذا قتله في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ، وإن كان من الوحش وكان حمار وحش فعليه بقرة، وإن كان نعامة فعليه بدنة، وإن كان ظبياً فعليه شاة، فإن قتل شيئاً من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً هدياً بالغ الكعبة، وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدي فيه وكان إحرامه بالحج نحره بمنى، وإن كان احرامه بالعمرة نحره بمكّة، وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء، وفي العمد له المأثم وهو موضوع عنه في الخطأ، والكفّارة على الحر في نفسه، وعلى السيّد في عبده، والصغير لا كفّارة عليه وهي على الكبير واجبة، والنادم يسقط بندمه عنه عقاب الآخرة، والمصر يجب عليه العقاب في الآخرة».

فقال له المأمون: أحسنت يا أبا جعفر ... [1].

رجوع الجواد إلى المدينة:

ثمّ إنّ أبا جعفر بعد أن أقام مدّة في بغداد هاجر إلى المدينة وسكن بها مدّة إلى أن توفّي المأمون وبويع المعتصم، ولم يزل المعتصم متفكّراً في أبي جعفر يخاف من اجتماع الناس حوله ووثوبه على الخلافة، فلأجل ذلك مارس نفس السياسة التي مارسها أخوه المأمون من قبله فاستقدم الإمام

١ـ الارشاد ٣٢٢.

الجواد ـ عليه السلام ـ إلى بغداد سنة ٢٢٠ [١] وبقي فيها ـ عليه السلام ـ حتى توفّي في آخر ذي القعدة من تلك السنـة، وله من العمر ٢٥ سنة وأشهـر. ودفن عند جدّه موسى بن جعفر في مقابر قريش.

وقال ابن شهر آشوب: إنّه قبض مسموماً [٢].

فسلام الله على إمامنا الجواد يوم ولـد، ويوم مات أو استشهد بالسم، ويوم يبعث حيّاً.

١ـ وفي الارشـاد ٣٢٦، وفي إعـلام الـورى ٣٠٤: وكـان سبـب ورود الإمـام إلى بغـداد إشخاص المعتصم له من المدينة، فورد بغداد لليلتين بقيتا من محرّم الحرام سنة ٢٢٥ هـ ... ثمّ يقول: وكان له يوم قبض ٢٥ سنة.

ولا يخفى أنّـه لو كان تـاريخ وروده إلى بغداد هي سنـة ٢٢٥ هـ ، يكون لـه يوم وفاته ٣٠ سنة من العمر لأنّه ولد عام ١٩٥ هـ.

٢ـ ابن شهر آشوب: المناقب ٤/ ٣٧٩.

الإمام العاشر:

أبو الحسن علي بن محمّد بن علي

-عليهم السلام-

الهادي

الإمام علي بن محمّد الهادي، هو الإمام العاشر، والنور الزاهر، ولد عام ٢١٢ هـ، وتوفّي بسامراء سنة ٢٥٤هـ، وهو من بيت الرسالة والإمامة، ومقر الوصاية والخلافة، وثمرة من شجرة النبوّة.

قام -عليه السلام- بأمر الإمامة بعد والده الإمام الجواد -عليه السلام-، وقد عاصر خلافة المعتصم والواثق والمتوكّل والمنتصر والمستعين والمعتز، وله مع هؤلاء قضايا لا يتسع المقام لذكرها.

قال ابن شهر آشوب: كان أطيب الناس مهجة، وأصدقهم لهجة، وأملحهم من قريب، وأكملهم من بعيد، إذا صمت علَته هيبة الوقار، وإذا

تكلّم سماه البهاء [١].

وقال عماد الدين الحنبلي: كان فقيهاً إماماً متعبّداً [٢].

وقال المفيد: تقلّد الإمامة بعد أبي جعفر ابنه أبو الحسن علي بن محمّد، وقد اجتمعت فيه خصال الإمامة وثبت النص عليه بالإمامة، والاشارة إليه من أبيه بالخلافة [٣].

وقد تضافرت النصوص على إمامته عن طرقنا، فمن أراد فليرجع إلى الكافي واثبات الهداة وغيرهما من الكتب المعدّة لذلك [٤].

وقد مارس المتوكّل نفس الاسلوب الخبيث الذي رسمه المأمون ثم أخوه المعتصم من إشخاص أئمّة أهل البيت من موطنهم وإجبارهم على الاقامة في مقرّ الخلافة، وجعل العيون والحرّاس عليهم حتى يطّلعوا على دقيق حياتهم وجليلها.

وكان المتوكّل من أخبث الخلفاء العباسيين، وأشدّهم عداءً لعليّ، فبلغه مقام علي الهادي بالمدينة ومكانته هناك، وميل الناس إليه، فخاف منه [٥]، فدعى يحيى بن هرثمة وقال: اذهب إلى المدينة، وانظر في حاله وأشخصه إلينا.

١ـ ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب ٤/ ٤٠١ طبع قم.

٢ـ شذرات الذهب ٢/ ١٢٨ في حوادث سنة ٢٥٤.

٣ـ الارشاد ٣٢٧.

٤ـ الكليني، الكافي ١/ ٣٢٣ ــ ٣٢٥، الشيخ الحر العاملي: اثبات الهداة ٣٠/ ٣٥٥ـ ٣٥٨.

٥ـ روي أنّ بريحة العباسي أحد أنصار المتوكل وأزلامه كتب إليه: إن كان لك بالحرمين حاجة فأخرج منها علي بن محمد فإنّه قد دعا الناس إلى نفسه وتبعه خلق كثير.

قال يحيى: فذهبت إلى المدينة، فلمّا دخلتها ضجَّ أهلها ضجيجاً عظيماً ما سمع الناس بمثله، خوفاً على علي الهادي، وقامت الدنيا على ساق، لأنّه كان مُحْسِناً إليهم، ملازماً للمسجد لم يكن عنده ميل إلى الدنيا.

قال يحيى: فجعلت أُسكّنهم وأحلِف لهم انّي لم أُؤمر فيه بمكروه، وإنّه لا بأس عليه، ثمّ فتّشت منزله فلم أجد فيه إلاّ مصاحف وأدعية وكتب العلم، فعظم في عيني، وتولّيت خدمته بنفسي، وأحسنت عشرته، فلمّا قدمت به بغداد، بدأت بإسحاق بن إبراهيم الطاهري وكان والياً على بغداد، فقال لي: يا يحيى إنّ هذا الرجل قد ولده رسول الله، والمتوكّل مَنْ تعلَم، فإن حرّضته عليه قتله، كان رسول الله خصمك يوم القيامة. فقلت له: والله ما وقعت منه إلاّ على كلّ أمر جميل.

ثمّ صرت به إلى «سرّ من رأى» فبدأت بـ «وصيف» التركي، فأخبرته بوصوله، فقال: والله لئن سقط منه شعرة لا يطالب بها سواك، فلمّا دخلت على المتوكّل سألني عنه فأخبرته بحسن سيرته وسلامة طريقه وورعه وزهادته، وأنّي فتّشت داره ولم أجد فيها إلاّ المصاحف وكتب العلم، وأنّ أهل المدينة خافوا عليه، فأكرمه المتوكّل وأحسن جائزته وأجزل برّه، وأنزله معه سامراء[1].

ومع أنّ الإمام كان يعيش في نفس البلد الذي يسكن فيه المتوكل، وكانت العيون والجواسيس يراقبونه عن كثب، إلاّ أنّه وشي به إلى المتوكّل بأنّ في منزله كتباً وسلاحاً من شيعته من أهل قم، وأنّه عازم بالوثوب بالدولة، فبعث إليه جماعة من الأتراك، فهاجموا داره ليلاً فلم يجدوا فيها شيئاً،

١ـ سبط بن الجوزي، تذكرة الخواص ٣٢٢.

ووجدوه في بيت مغلق عليه، وعليه مدرعة من صوف وهو جالس على الرمل والحصى، وهو متوجّه إلى الله تعالى يتلو آيات من القرآن، فحمل على حاله تلك إلى المتوكل وقالوا له: لم نجد في بيته شيئاً، ووجدناه يقرأ القرآن مستقبل القبلة، وكان المتوكّل جالساً في مجلس الشراب فأُدخل عليه والكأس في يده، فلمّا رآه هابه وعظّمه وأجلسه إلى جانبه، وناوله الكأس التي كانت في يده، فقال الإمام ـ عليه السلام ـ: «والله ما خامر لحمي ودمي قط، فاعفني» فأعفاه، فقال له: انشدني شعراً، فقال علي: «أنا قليل الرواية للشعر» فقال: لابد، فأنشده وهو جالس عنده:

«باتوا على قلل الأجبال تحرسهم
غلب الرجال فما أغنتهم القلل
واستنزلوا بعد عزّ من معاقلهم
وأُسْكِنوا حُفراً يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد دفنهم
أين الأسرّة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعّمة
من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم
تلك الوجوه عليها الدود يقتتل [١]
قد طال ما أكلوا دهراً وما شربوا
فأصبحوا بعد طول الأكل قد أُكِلوا»

١ـ ربّما يروى «ينتقل».

فبكى المتوكّل حتى بلّتْ لحيته دموع عينه وبكى الحاضرون، ورفع إلى علي أربعة آلاف دينار ثمّ ردّه إلى منزله مكرّماً[1].

آثاره العلمية:

روى الحفّاظ والرواة عن الإمام أحاديث كثيرة في شتى المجالات من العقيدة والشريعة، وقد جمعها المحدّثون في كتبهم، وبثّها الحرّ العاملي في كتابه الموسوم بـ «وسائل الشيعة» على أبواب مختلفة، وممّا نلفت إليه النظر أنّ للإمام -عليه السلام- بعض الرسائل، وهي:

١ـ رسالته في الرد على الجبر والتفويض واثبات العدل والمنزلة بين المنزلتين، أوردها بتمامها الحسن بن علي بن شعبة الحرّاني في كتابه الموسوم بـ «تحف العقول»[2].

٢ـ أجوبته ليحيى بن أكثم عن مسائله، وهذه أيضاً أوردها الحرّاني أيضاً في تحف العقول.

٣ـ قطعة من أحكام الدين، ذكرها ابن شهر آشوب في المناقب.

ولأجل إيقاف القارئ على نمط خاص من تفسير الإمام نأتي بنموذج من هذا التفسير:

قدم إلى المتوكل رجل نصراني فجر بامرأة مسلمة، فأراد أن يقيم عليه الحد، فأسلم، فقال يحيى بن أكثم: الايمان يمحو ما قبله، وقال بعضهم:

١ـ المسعودي: مروج الذهب ٤/ ١١.

٢ـ تحف العقول ٢٣٨ ـ ٣٥٢.

يضرب ثـلاثة حـدود، فكتب المتـوكل إلى الإمـام الهادي يسألـه، فلمّـا قـرأ الكتـاب، كتب: «يضرب حتى يمـوت» فأنكـر الفقهـاء ذلك، فكتب إليـه يسأله عـن العلّة، فكتب: «بسم الله الـرحمن الرحيم ﴿فَلَمَّـا رَأَوْا بَأْسَنا قَالوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنا بِما كُنّا بِهِ مُشركِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إيمانُهُمْ لَـمَّـا رَأَوْا بأسنا سُنَّةَ اللهِ الَّتي قَدْ خَلَتْ في عبادِهِ وَ خَسِـرَ هُنالِكَ الكافِرونَ﴾ »[١]، فأمر به المتوكل فضرب حتى مات[٢].

وفاته:

توفّي أبو الحسن ـ عليه السلام ـ في رجب سنة أربع وخمسين ومائتين ودفن في داره بسرّ من رأى، وخلّف من الولد أبا محمّـد الحسن ابنه وهو الإمام من بعده، والحسين، ومحمّد، وجعفر، وابنته عائشة، وكان مقامه بسرّ من رأى إلى أن قبض عشر سنين وأشهـر، وتـوفّي وسنّـه يـومئـذ على ما قـدمنـاه إحـدى وأربعون سنة[٣].

وقد ذكر المسعـودي في اثبات الوصيّة «تفصيل كيفية وفـاته وتشييعه وإيصاء الإمامة لابنه أبي محمّد العسكري» فمن أراد فليراجع[٤].

١ـ غافر / ٨٤ـ٨٥.

٢ـ ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب ٤/ ٤٠٣ ـ ٤٠٥.

٣ـ الإرشاد ٣٢٧.

٤ـ إثبات الوصية.

الإمام الحادي عشر:

أبو محمّد الحسن بن علي بن محمد

ـ عليهما السلام ـ

العسكري

أبـو محمّد، الحسن بـن علي الهادي بن محمّـد الجواد، أحد أئمّـة أهل البيت، والإمـام الحادي عشر، الملقّب بـالعسكري، ولـد عام ٢٣٢ هـ [١]، وقال الخطيب في تاريخه [٢] وابن الجوزي في تذكـرته [٣]: أنّه ولـد عام ٢٣١ هـ، وأُشخص بشخوص والده إلى العراق سنة ٢٣٦ هـ، وله من العمر أربع سنين وعدّة شهور، وقام بأمر الإمامة والقيادة الروحية بعد شهادة والده، وقد اجتمعت فيه خصـال الفضل، وبرز تقـدّمه على كافـة أهل العصر، واشتهر

١ ـ الكليني: الكافي ١/ ٥٠٣.

٢ـ الخطيب: تاريخ بغداد ٧/ ٣٦٦.

٣ـ ابن الجوزي: تذكرة الخواص ٣٢٢.

بكمال الفعل والعلم والزهد والشجاعة [١]، وقد روى عنه لفيف من الفقهاء والمحدّثين يربو عددهم على ١٥٠ شخصاً [٢]. وتوفّي عام ٢٦٠ هـ ودفن في داره التي دفن فيها أبوه بسامراء.

وخلّف ابنه المنتظر لدولة الحق، وكان قد أخفى مولده وستر أمره لصعوبة الوقت، وشدّة طلب السلطة، واجتهادها في البحث عن أمره، ولكنّه سبحانه حفظه من شرار أعدائه كما حفظ سائر أوليائه كإبراهيم الخليل وموسى الكليم، فقد خابت السلطة في طلبهما والاعتداء عليهما.

وقد اشتهر الإمام بالعسكري لأنّه منسوب إلى عسكر، ويراد بها سرّ من رأى التي بناها المعتصم، وانتقل إليها بعسكره، حيث أشخص المتوكل أباه عليّاً إليها وأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر فنُسب هو وولده إليها [٣].

وقال سبط ابن الجوزي: كان عالماً ثقة روى الحديث عن أبيه عن جدّه ومن جملة مسانيده حديث في الخمر عزيز.

ثمّ ذكر الحديث عن جدّه أبي الفرج الجوزيّ في كتابه المسمّى بـ «تحريم الخمر» ، ثمّ ساق سند الحديث إلى الحسن العسكري وهو يسند الحديث إلى آبائه إلى علي بن أبي طالب وهو يقول: «أشهد بالله لقد سمعت محمّداً رسول الله ﷺ يقول: أشهد بالله لقد سمعت جبرائيل يقول: أشهد بالله لقد سمعت ميكائيل يقول: أشهد بالله لقد سمعت إسرافيل يقول:

١ـ المفيد: الارشاد ٣٣٥.

٢ـ العطاردي: مسند الإمام العسكري وقد جمع فيه كلّ ما روي عنه وأُسند إليه.

٣ـ ابن خلّكان: وفيات الأعيان ٢/ ٩٤.

أشهد بالله على اللوح المحفوظ أنّه قال: سمعت الله يقول: شارب الخمر كعابد الوثن»[١].

ولقد وقع سبط ابن الجوزي في الاشتباه عندما توهّم أنّ اسناد الإمام ـ عليه السلام ـ هذا الحديث إلى رسول الله ﷺ مختص بهذا المورد، ولكن الحقيقة غير ذلك، فإنّ أحاديث أئمّة أهل البيت مروية كلّها عن النبيّ الأكرم ﷺ ، فهم لا يروون في مجال الفقه والتفسير والأخلاق والدعاء إلاّ ما وصل إليهم عن النبيّ الأكرم ﷺ عن طريق آبائهم وأجدادهم، ومروياتهم لا تعبّر عن آرائهم الشخصية، فمن قال بذلك وتصوّر كونهم مجتهدين مستنبطين، فقد قاسهم بالآخرين ممّن يعتمدون على آرائهم الشخصية، وهو في قياسه خاطئ، فهم منذ نعومة أظفارهم إلى أن لبّوا دعوة ربّهم لم يختلفوا إلى أندية الدروس، ولم يحضروا مجلس أحد من العلماء، ولا تعلّموا شيئاً من غير آبائهم، فما يذكرونه من علوم ورثوها من رسول الله ﷺ وراثة غيبية لا يعلم كنهها إلاّ الله سبحانه والراسخون في العلم.

وهذا الإمام جعفر الصادق ـ عليه السلام ـ يبيّن هذا الأمر بوضوح لا لبس فيه، حيث يقول: «إنّ حديثي حديث أبي ، وحديث أبي حديث جدي علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، وحديث علي أمير المؤمنين حديث رسول الله ﷺ ، وحديث رسول الله قول الله عزّ وجلّ»[٢].

وروى حفص بن البختري، قال: قلت لأبي عبد الله الصادق ـ عليه السلام ـ : أسمع الحديث منك فلا أدري منك سماعه أو من أبيك، فقال:

١ـ تذكرة الخواص ٣٢٤.

٢ـ الارشاد ٢٧٤.

«ما سمعته منّي فاروه عن أبي، وما سمعته منّي فاروه عن رسول الله ﷺ» (١).

فأئمّة المسلمين على حد قول القائل:

ووال أُناساً نقلهم وحديثهم   روى جدّنا عن جبرئيل عن الباري

ولقد عاتب الإمام الباقر -عليه السلام- سلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة حيث كانا يأخذان الحديث من الناس ولا يهتمان بأحاديث أهل البيت، فقال لهما: «شرّقا وغرّبا فلا تجدان علماً صحيحاً إلاّ شيئاً خرج من عندنا أهل البيت».

ورغم أنّ الخلفاء العباسيين قد وضعوا الإمام تحت الاقامة الجبرية وجعلوا عليه عيوناً وجواسيساً، ولكن روى عنه الحفّاظ والرواة أحاديثاً جمّة في شتى المجالات، بل يروى أنّ الإمام -عليه السلام-، ورغم كلّ ذلك كان على اتّصال مستمر بالشيعة الذين كان عددهم يقدر بعشرات الملايين، وحيث كان لا مرجع لهم سوى الإمام -عليه السلام-.

كما أنّ الكلام عن أخلاقه وأطواره، ومناقبه وفضائله، وكرمه وسخائه، وهيبته وعظمته، ومجابهته للخلفاء العباسيين بكل جرأة وعزّة، وما نقل عنه من الحكم والمواعظ والآداب، يحتاج إلى تأليف مفرد وكفانا في ذلك علماؤنا الأبرار، بيد أنّا نشير هنا إلى لمحة من علومه.

١ـ لقد شغلت الحروف المقطّعة بال المفسّرين فضربوا يميناً وشمالاً،

١ـ وسائل الشيعة ج١٨، الباب الثامن من أبواب صفات القاضي، الحديث ٨٦.

وقد أنهى الرازي أقوالهم فيها في أوائل تفسيره الكبير إلى قرابة عشرين قولا، ولكن الإمام ـ عليه السلام ـ عالج تلك المعضلة بأحسن الوجوه وأقربها للطبع، فقال: «كذبت قريش واليهود بالقرآن، وقالوا سحر مبين تقوّله.

فقال الله: ﴿الم ذٰلِكَ الكتابُ﴾ أي: يا محمّد، هذا الكتاب الذي نزّلناه عليك هو الحروف المقطّعة التي منها «ألف»، «لام»، «ميم» وهو بلغتكم وحروف هجائكم، فأتوا بمثله إن كنتم صادقين، واستعينوا على ذلك بسائر شهدائكم، ثمّ بيّن أنّه لا يقدرون عليه بقوله: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإنْسُ وَالجِنُّ عَلىٰ أنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هـذا القُرآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ولَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبعْضٍ ظَهِيرا﴾ [١] » [٢].

وقد روي هذا المعنى عن أبيه الإمام الهادي ـ عليه السلام ـ [٣].

٢ـ كان أهل الشغب والجدل يلقون حبال الشك في طريق المسلمين فيقولون: إنّكم تقولون في صلواتكم: ﴿اهدِنا الصِّراط المُسْتقيم﴾ أو لستم فيه؟ فما معنى هذه الدعوة؟ أو انّكم متنكّبون عنه فتدعون ليهديكم إليه؟ ففسّر الإمام الآية قاطعاً لشغبهم فقال: «أدِم لنا توفيقك الذي به أطعناك في ماضي أيّامنا حتّى نطيعك كذلك في مستقبل أعمالنا».

ثمّ فسّر الصراط بقوله: «الصراط المستقيم هو: صراطان: صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، أمّا الأوّل فهو ما قصر عن الغلو وارتفع عن

١ـ الإسراء/ ٨٨.

٢ـ الصدوق: معاني الأخبار ٢٤، وللحديث ذيل فمن أراد فليرجع إلى الكتاب.

٣ـ الكليني: الكافي ج١ كتاب العقل والجهل الحديث ٢٠/ ٢٤ـ ٢٥.

التقصير، واستقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل، وأمّا الطريق الآخر فهو طريق المؤمنين إلى الجنّة الذي هو مستقيم، لا يعدلون عن الجنّة إلى النار ولا إلى غير النار سوى الجنّة»[1].

وكان قد استفحل أمر الغلاة في عصر الإمام العسكري ونسبوا إلى الأئمّة الهداة أُموراً هم عنها براء، ولأجل ذلك يركّز الإمام على أنّ الصراط المستقيم لكل مسلم هو التجنّب عن الغلو والتقصير.

٣ـ ربّما يغتر الغافل بظاهر قوله سبحانه: ﴿صِراطَ الَّذِينَ أنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ويتصوّر أنّ المراد من النعمة هو المال والأولاد وصحّة البدن، وإن كان كلّ هذا نعمة من الله، ولكنّ المراد من الآية بقرينة قوله: ﴿غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ولا الضَّالِّين﴾ هو نعمة التوفيق والهداية.

ولأجل ذلك نرى أنّ الإمام يفسّر هذا الإنعام بقوله: «قولوا اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم بالتوفيق لدينك وطاعتك وهم الذين قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ والرَّسُولَ فَأُولٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقينَ والشُّهداءِ وَالصَّالِحِينَ وحَسُنَ أُولٰئِكَ رَفيقاً﴾ ثمّ قال: ليس هؤلاء المنعم عليهم بالمال وصحّة البدن وإن كان كلّ هذا نعمة من الله ظاهرة»[2].

٤ـ لقد تفشّت آنذاك فكرة عدم علمه سبحانه بالأشياء قبل أن تخلق، تأثراً بتصورات بعض المدارس الفكرية الفلسفية الموروثة من اليونان،

١ـ الصدوق: معاني الأخبار ٣٣.

٢ـ المصدر نفسه: ٣٦.

فسأله محمّد بن صالح عن قول الله: ﴿يَمْحُوا اللهُ ما يَشاءُ ويُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الكِتابِ﴾ [١] فقال: «هل يمحو إلاّ ما كان وهل يثبت إلاّ ما لم يكن»؟ فقلت في نفسي: هذا خلاف ما يقوله هشام الفوطي: إنّه لا يعلم الشيء حتى يكون، فنظر إليَّ شزراً، وقال:

«تعالى الله الجبّار العالم بالشيء قبل كونه، الخالق إذ لا مخلوق، والربّ إذ لا مربوب، والقادر قبل المقدور عليه» [٢].

حصيلة البحث:

هؤلاء هم أئمّة الشيعة وقادتهم بل أئمّة المسلمين جميعاً، وكيف لا يكونون كذلك؟ وقد ترك رسول الله بعد رحلته الثقلين وحثّ الأُمّة على التمسّك بهما وقال: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبدا» [٣].

ولكن المؤسف أنّ أهل السنّة والجماعة لم يعتمدوا في تفسير كتاب الله العزيز على أقوال أئمّة أهل البيت وهم قرناء القرآن وأعداله والثقل الآخر من الثقلين، وإنّما استعانوا في تفسيره بأُناس لا يبلغون شأوهم ولا يشقّون غبارهم، نظراء مجاهد بن جبر (المتوفّى عام ١٠٤ هـ)، وعكرمة البربري

١ـ الرعد/ ٣٩.

٢ـ المسعودي: اثبات الوصية ٢٤١.

٣ـ رواه غير واحد من أصحاب الصحاح والمسانيد وهو من الأحاديث المتواترة، (لاحظ نشرة دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، حول هذا الحديث، ترى اسنادها موصولة إلى النبيّ الأكرم ﷺ).

(المتوفّى عـام ١٠٤هـ)، وطاووس بن كيسان اليماني (المتـوفّى عام١٠٦هـ)، وعطاء بن أبي رباح (المتوفّى عام ١١٤ هـ)، ومحمّد بن كعب القرظي (المتوفّى عام ١١٨ هـ)، إلى غير ذلك من أُناس لا يبلغون في الوثاقة والمكانة العلمية معشار ما عليه أئمّة أهل البيت ـ صلوات الله عليهم ـ ...

فالإسلام عقيدة وشريعة، والنجاة عن الضلال ـ حسب مفاد حديث الثقلين هو الرجوع إليهما وأمّا غيرهما فإن رجع إليهما فنعم المطلوب وإلاّ فلا قيمة له ـ أمّا الصحابة والتابعـون، فلا يعتد برأيهم إلاّ إذا كـان مأخوذاً عن كتابه سبحانه أو سنّة نبيّه، وليس حـديث أئمّة أهل البيت إلاّ إشراقاً خالداً لحديث جدّهم الأكرم وسنّته.

الإمام الثاني عشر:

الإمام المهدي ابن الحسن بن علي

-عليهم السلام-

المنتظر

هو أبو القاسم محمّد بن الحسن العسكري الحجّة، الخلف الصالح، ولد -عليه السلام- بسرّ من رأى ليلة النصف من شعبان، سنة خمس وخمسين ومائتين، وله من العمر عند وفاة أبيه خمس سنين، آتاه الله الحكم صبيّا كما حدث ليحيى، حيث قال سبحانه: ﴿يا يَحْيىٰ خُذِ الكِتابَ بِقُوَّةٍ وآتَيْناهُ الحُكْمَ صَبيّا﴾ [1]، وجعله إماماً وهو طفل، كما جعل المسيح نبيّاً وهو رضيع قال سبحانه عن لسانه وهو يخاطب قومه: ﴿إنّي عَبْدُ اللهِ آتانِيَ الكِتابَ وَجَعَلَني نَبيّا﴾ [2].

١-مريم/ ١٢.

٢-مريم/ ٣٠.

اتّفق المسلمون على ظهور المهدي في آخر الزمان لإزالة الجهل والظلم، والجور، ونشر أعلام العدل وإعلاء كلمة الحق، وإظهار الدين كلّه ولو كره المشركون، فهو بإذن الله ينجي العالم من ذلّ العبودية لغير الله، ويلغي الأخلاق والعادات الذميمة، ويبطل القوانين الكافرة التي سنّتها الأهواء، ويقطع أُواصر التعصّبات القومية والعنصرية، ويمحي أسباب العداء والبغضاء التي صارت سبباً لاختلاف الأُمّة وافتراق الكلمة، ويحقّق الله سبحانه بظهوره وعده الذي وعد به المؤمنين بقوله:

١ـ ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَيَستَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأرْضِ كما اسْتَخْلَفَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذي ارْتَضىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعدَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ﴾ (١).

٢ـ ﴿وَنُرِيدُ أنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوارِثِينَ﴾ (٢).

٣ـ ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصّالِحُونَ﴾ (٣).

وتشهد الأُمّة بعد ظهوره ـ عليه السلام ـ عصراً ذهبياً لا يبقى فيه على الأرض بيت إلاّ ودخلته كلمة الإسلام، ولا تبقى قرية إلاّ وينادى فيها بشهادة «لا إله إلاّ الله» بكرة وعشيا.

١ـ النور/ ٥٥.

٢ـ القصص/ ٥.

٣ـ الأنبياء/ ١٠٥.

أقول: لقد تواترت النصوص الصحيحة والأخبار المروية من طريق أهل السنّة والشيعة المؤكّدة على إمامة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ ، والمشيرة صراحة إلى أنّ عددهم كعدد نقباء بني إسرائيل، وأنّ آخر هؤلاء الأئمّة هو الذي يملأ الأرض ـ في عهده ـ عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وأنّ أحاديث الإمام الثاني عشر الموسوم بالمهدي المنتظر قد رواها جملة من محدثي السنَّة في صحاحهم المختلفة كأمثال الترمذي (المتوفّى عام ٢٩٧هـ)، وأبي داود (المتوفّى عام ٢٧٥ هـ)، وابن ماجة (المتوفّى عام ٢٧٥ هـ) وغيرهم، حيث أسندوا رواياتهم هذه إلى جملة من أهل بيت رسول الله ﷺ وصحابته، أمثال علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وأُمّ سلمة زوجة الرسول الأكرم ﷺ ، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة وغيرهم:

١ـ روى الإمام أحمد في مسنده عن رسول الله ﷺ : «لو لم يبق من الدهر إلاّ يوم واحد لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً»[١].

٢ـ أخرج أبو داود عن عبد الله بن مسعود: أنّ رسول الله ﷺ قال: «لا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي»[٢].

٣ـ أخرج أبو داود عن أُمّ سلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سمعت رسول الله

١ـ مسند أحمد ١/ ٩٩، ٣/ ١٧ـ٧٠.

٢ـ جامع الأُصول ١١/ ٤٨ برقم ٧٨١٠.

ﷺ يقول: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة»[١].

٤ـ أخرج الترمذي عن ابن مسعود: أنّ رسول الله ﷺ قال: «يلي رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي»[٢].

إلى غير ذلك من الروايات المتضافرة التي بلغت أعلى مراتب التواتر على وجه. يقول الدكتور عبد الباقي: إنّ المشكلة ليست مشكلة حديث أو حديثين أو راو أو راويين، إنّها مجموعة من الأحاديث والآثار تبلغ الثمانين تقريباً، اجتمع على تناقلها مئات الرواة وأكثر من صاحب كتاب صحيح[٣].

هذا هو المهدي الذي اتّفق المحدّثون والمتكلّمون عليه، وإنّما الاختلاف بين الشيعة والسنّة في ولادته، فالشيعة ذهبت إلى أنّ المهدي الموعود هو الإمام الثاني عشر الذي ولد بسامراء عام ٢٥٥ هـ واختفى بعد وفاة أبيه عام ٢٦٠ هـ، وقد تضافرت عليه النصوص من آبائه، على وجه ما ترك شكّاً ولا شبهة[٤] ووافقتهم جماعة من علماء أهل السنّة، وقالوا بأنّه ولد وأنّه محمّد بن الحسن العسكري.

نعم كثير منهم قالوا: بأنّه سيولد في آخر الزمان، وبما أنّ أهل البيت

١ـ جامع الأُصول ١١/ ٤٨ برقم ٧٨١٢.

٢ـ المصدر نفسه برقم ٧٨١٠.

٣ـ الدكتور عبد الباقي: بين يدي الساعة ١٢٣.

٤ـ اقرأ هذه النصوص في كتاب «كمال الدين» للشيخ الصدوق ٣٠٦ ـ ٣٨١هـ ترى فيه النصوص المتضافرة على أنّ المهدي الموعود هو ولد الإمام أبو محمّد الحسن العسكري وأنّ له غَيبة.

أدرى بما في البيت، فمن رجع إلى روايات أئمّة أهل البيت في كتبهم يظهر له الحق، وأنّ المولود للإمام العسكري هو المهدي الموعود.

وممّن وافق من علماء أهل السنّة بأنّ وليد بيت الحسن العسكري هو المهدي الموعود:

١ـ كمال الدين محمّد بن طلحة بن محمّد القرشي الشافعي في كتاب «مطالب السؤول في مناقب آل الرسول». وقد أثنى عليه من ترجم له مثل اليافعي في «مرآة الجنان» في حوادث سنة ٦٥٠ هـ.

قال ـ بعد سرد اسمه ونسبه ـ: «المهدي الحجّة، الخلف الصالح المنتظر، فأمّا مولده فبسر من رأى، وأمّا نسبه أباً فأبوه الحسن الخالص» ثمّ أورد عدّة أخبار واردة في المهدي من طريق أبي داود، والترمذي ومسلم، والبخاري وغيرهم، ثمّ ذكر بعض الاعتراضات بالنسبة إلى أحواله ـ عليه السلام ـ من حيث الغيبة وطول العمر وغير ذلك، وأجاب عنها جميعاً، ثمّ قال رادّاً عل تأويل البعض لهذهِ الروايات بأنّها لا تدلّ على أنه محمّد بن الحسن العسكري قائلاً: بأنّ الرسول لما وصفه وذكر اسمه ونسبه وجدنا تلك الصفات والعلامات موجودة في محمّد بن الحسن العسكري علمنا إنّه هو المهدي.

٢ـ أبو عبد الله محمّد بن يوسف بن محمّد الكنجي الشافعي في كتابيه: «البيان في أخبار صاحب الزمان» و «كفاية الطالب في مناقب علي ابن أبي طالب».

٣ـ نور الدين علي بن محمّد بن الصباغ المالكي في كتابه: «الفصول

المهمّة في معرفة الأئمّة».

٤ــ الفقيه الواعظ شمس الدين المعروف بسبط ابن الجوزي في «تذكرة الخواص».

إلى غير ذلك من علماء وحفّاظ ذكر أسماءهم وكلماتهم السيد الأمين في أعيان الشيعة وأنهاها إلى ثلاثة عشر، ثمّ قال: والقائلون بوجود المهدي من علماء أهل السنّة كثيرون، وفيما ذكرناه منهم كفاية، ومن أراد الاستقصاء فليرجع إلى كتابنا «البرهان على وجود صاحب الزمان» ورسالة «كشف الأستار» للشيخ حسين النوري [١].

وقد كان الاعتقاد بظهور المهدي في عصر الأئمّة الهداة أمراً مسلّماً، حتى أنّ دعبل الخزاعي ذكره في قصيدته التي أنشدها لعلي بن موسى الرضا ـ عليه السلام ـ فقال:

خروج إمام لا محالة قائم ... يقوم على اسم الله والبركات

يميز فينا كل حق وباطل ... ويجزي على النعماء والنقمات

ولمّا وصل دعبل إلى هذين البيتين بكى الرضا ـ عليه السلام ـ بكاءً شديداً ثمّ رفع رأسه، فقال له: «يا خزاعي نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين، فهل تدري من هذا الإمام ومتى يقوم»؟ فقلت: لا يا مولاي، إلاّ أنّي سمعت بخروج إمام منكم يطهّر الأرض من الفساد، ويملأها عدلاً كما ملئت جوراً.

١ـ أعيان الشيعة ٢/ ٦٤ـ ٧٥.

فقال: «يا دعبل، الإمام بعدي محمّد ابني (الجواد) وبعد محمّد ابنه علي (الهادي)، وبعد علي ابنه الحسن (العسكري)، وبعد الحسن ابنه الحجّة القائم، المنتظر في غيبته، المطاع في ظهوره، لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً، وأمّا متى؟ فإخبار عن الوقت، فقد حدّثني أبي عن أبيه عن آبائه عن علي ـ عليه السلام ـ: إنّ النبي ﷺ قيل له: يا رسول الله متى يخرج القائم من ذريتك؟ فقال: مثله مثل الساعة لا يجليها لوقتها إلاّ هو، ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلاّ بغتة [١].

ثمّ إنّ للمهدي ـ عجّل الله تعالى فرجه ـ غيبتين صغرى وكبرى، كما جاءت بذلك الأخبار عن أئمّة أهل البيت، أمّا الغيبة الصغرى فمن ابتداء إمامته إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته بوفاة السفراء وعدم نصب غيرهم، وقد مات السفير الأخير علي بن محمّد السمري عام ٣٢٩ هـ، ففي هذه الفترة كان السفراء يرونه وربّما رآه غيرهم ويصلون إلى خدمته وتخرج على أيديهم توقيعات منه إلى شيعته في أُمور شتّى.

وأمّا الغيبة الكبرى فهي بعد الأُولى إلى أن يقوم بإذن الله تعالى.

وأمّا من رأى الحجّة في زمان أبيه وفي الغيبة الصغرى وحتى في الكبرى، فحدّث عنه ولا حرج، وقد أُلّفت في ذلك كتب أحسنها وأجملها: «كمال الدين» للصدوق، و «الغيبة» للشيخ الطوسي.

فنذكر هنا بعض من رآه في صباه:

---

١ ـ الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة ٢/ ٣٧٢.

في من رأى المهدي في بيت الإمام العسكري:

إنّ هناك لفيفاً من أصحاب الإمام العسكري رأوا الإمـام المهدي في أيام صباه، ووالده بعد حي. وها نحـن نذكر من الكثير شيئاً قليلاً حتى لا يرتاب المنصف في ولادته:

١ـ روى يعقـوب بن منقوش قال: دخلت على أبي محمّـد الحسن بن علي ـ عليهما السلام ـ وهو جالس على دكّان في الـدار، وعن يمينه بيت عليه ستر مسبل، فقلت له: من صـاحب هذا الأمر؟ فقال: ارفع الستر. فـرفعته فخرج إلينا غلام خماسي له عشرة أو ثمان أو نحو ذلك، واضح الجبين أبيض الوجه، درّي المقلتين، شثن الكفّين، معطـوف الركبتين، في خدّه الأيمـن خال، وفي رأسه ذؤابه، فجلس على فخذ أبي محمد ثمّ قال لي: هذا صاحبكم [1].

٢ـ روى إبـراهيم بن محمد بن فـارس النيسابوري قـال: لما همّ الوالي عمر بن عوف بقتلي غلب عليَّ خوف عظيم، فودعت أهلي وتوجهت إلى دار أبي محمّـد لأُودّعه، وكنـت أردت الهرب، فلمّـا دخلـت عليه رأيـت غلامـاً جالسـاً في جنبه وكـان وجهه مضيئـاً كالقمر ليلـة البدر، فتحيرت مـن نوره وضيـائه وكـاد ينسيني مـا كنـت فيه، فقـال: يـا إبـراهيـم لا تهرب فإنّ الله سيكفيك شره، فازداد تحيّـري، فقلت لأبي محمّد: يا سيدي يـا بن رسول الله ﷺ من هذا وقد أخبرني بما كان في ضميري؟ فقـال: هو ابني وخليفتي من بعدي [2].

١ـ الصدوق: كمال الدين ٢: ٤٠٧ الباب ٣٨ الحديث ٢.

٢ـ الحر العاملي: اثبات الهداة ٣: ٧٠٠، الباب ٣٣، الحديث ١٣٦.

٣ـ روى أحمد بن إسحاق قال: قلت لأبي محمد الحسن العسكري: يا ابن رسول الله فمن الإمام والخليفة بعدك؟ فنهض ـ عليه السلام ـ مسرعاً فدخل البيت ثمّ خرج وعلى عاتقه غلام كأنّ وجهه القمر ليلة البدر، من أبناء ثلاث سنين، فقال: يا أحمد بن إسحاق، لولا كرامتك على الله عزّ وجلّ وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا، إنّه سميّ رسول الله ﷺ وكنيّه، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً [١].

٤ـ روى أبو الحسين الحسن بن وجناء قال: حدثني أبي عن جده أنّه كان في دار الحسن بن علي ـ عليهما السلام ـ فكبستنا الخيل وفيها جعفر بن علي الكذّاب واشتغلوا بالنهب والغارة وكانت همّتي في مولاي القائم ـ عليه السلام ـ، قال: فإذا أنا به ـ عليه السلام ـ قد أقبل وخرج عليهم من الباب وأنا أنظر إليه وهو ـ عليه السلام ـ ابن ست سنين فلم يره أحد حتى غاب [٢].

٥ـ روى عبد الله بن جعفر الحميري قال: سألت أبا عمر عثمان بن سعيد العمري (أحد وكلاء الإمام أيام غيبته) فقلت له: هل أنت رأيت الخلف من بعد أبي محمد ـ عليه السلام ـ؟ فقال: أي والله، ورقبته مثل ذا ـ أومأ بيده ـ فقلت له: فبقيت واحدة؟ فقال لي: هات. قلت: الاسم؟ قال: محرّم عليكم أن تسألوا عن ذلك ... [٣].

٦ـ روت حكيمة بنت الإمام محمد الجواد قالت: بعث إليّ أبو محمّد الحسن بن علي ـ عليهما السلام ـ فقال: يا عمة اجعلي إفطارك هذه الليلة عندنا،

١ـ الصدوق: كمال الدين ٢: ٣٨٤ الباب ٣٨ الحديث ١.

٢ـ المصدر نفسه: ٢:٤٧٣ الباب ٤٣ الحديث ٢٥.

٣ـ الكليني ١:٣٢٩ الحديث ١.

فإنّها ليلة النصف من شعبان، فإنّ الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه الليلة الحجة، وهو حجّته في أرضه. ثمّ إنّ حكيمة عمة الإمام العسكري تتحدث عن ولادة الإمام المهدي وتقول: فضممته إليَّ فإذا أنا به نظيف متنظف، فصاح بي أبو محمد ـ عليه السلام ـ : هلمّ إليَّ ابني يا عمة، فجئت إليه ...[١].

٧ـ روى كامل بن إبراهيم فقال: دخلت على سيدي أبي محمد ـ عليه السلام ـ ، إذ نظرت إليه على ثياب بيض ناعمة فقلت في نفسي: وليّ الله وحجّته يلبس الناعم من الثياب، ويأمرنا بمواساة اخواننا وينهانا عن لبس مثله، فقال الإمام: يا كامل وحسر عن ذراعيه، فإذا مسح أسود خشن، فقال: هذا لله وهذا لكم، فجاءت الريح، فكشفت طرفه، فإذا أنا بفتى كأنّه فلقة قمر من أبناء أربع سنين أو مثلها، فقال لي: يا كامل بن إبراهيم. فاقشعررت من ذلك، وأُلهمت أن قلت: لبيك يا سيدي. فقال: جئت إلى وليّ الله وحجّته تريد أن تسأل: لا يدخل الجنة إلاّ من عرف معرفتك، وعرف مقالتك ... إلى أن قال: فنظر إليَّ أبو محمّد وتبسّم وقال: يا كامل بن إبراهيم، ما جلوسك وقد أبانك المهدي والحجّة من بعدي بما كان في نفسك وجئت تسألني عنه. قال: فنهضت وقد أخذت الجواب الذي أسررته في نفسي من الإمام المهدي ولم ألقه بعد ذلك[٢].

هذه نماذج في من رأى الإمام المهدي بعد ولادته، وقبل غيبته ذكرناه ولو أردنا الاستقصاء لطال بنا المقام في المقال.

١ـ الصدوق: كمال الدين ٢: ٤٢٤ الباب ٤٢ الحديث ١.

٢ـ الشيخ الطوسي: الغَيبَة: ١٤٨، كشف الغمة ٢٨٩:٣ عن الخرائج، وغيرهما من المصادر.

أسئلة مهمّة حول المهدي ـ عجّل الله تعالى فرجه ـ:

إنّ القول بأنّ الإمام المهدي لا يزال حياً يرزق منذ ولادته عام ٢٥٥ هجرية إلى الآن، وأنّه غائب سوف يظهر بأمر من الله سبحانه، أثار أسئلة حول حياته وإمامته، نذكر رؤوسها:

١ـ كيف يكون إماماً وهو غائب، وما الفائدة المرتقبة منه في غيبته؟

٢ـ لماذا غاب؟

٣ـ كيف يمكن أن يعيش إنسان هذه المدة الطويلة؟

٤ـ ما هي أشراط وعلائم ظهوره؟

هذه أسئلة أُثيرت حول الإمام المهدي منذ أن غاب، وكلّما طالت غيبته اشتدّ التركيز عليها، وقد قام المحققون من علماء الإمامية بالإجابة عليها في مؤلّفات مستقلة لا مجال لنقل معشار ما جاء فيها، غير أنّ الإحالة لما كانت عن المحذور غير خالية، نبحث عنها على وجه الإجمال، ونحيل من أراد التبسّط إلى المصادر المؤلّفة في هذا المجال.

السؤال الأول:
كيف يكون إماماً وهو غائب؟ وما فائدته؟

إنّ القيادة والهداية والقيام بوظائف الإمامة، هو الغاية من تنصيب الإمام، أو اختياره، وهو يتوقف على كونه ظاهراً بين أبناء الأُمّة، مشاهداً لهم، فكيف يكون إماماً قائداً، وهو غائب عنهم؟!

والجواب: على وجهين نقضاً وحلاً.

أمّا النقض: فإنّ التركيز على هذا السؤال يعرب عن عدم التعرّف على أولياء الله، وأنّهم بين ظاهرٍ قائم بالأُمور ومُخْتَفٍ قائم بها من دون أن يعرفه الناس.

إنّ كتاب الله العزيز يعرّفنا على وجود نوعين من الأئمّة والأولياء والقادة للأُمّة، وليّ غائب مستور، لا يعرفه حتى نبي زمانه، كما يخبر سبحانه عن مصاحب موسى ـ عليه السلام ـ بقوله: **﴿فَوَجَدا عَبْداً مِن عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ مِن لَدُنّا عِلْماً * قالَ لَهُ موسى هَلْ أَتَّبِعُكَ على أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾** الآيات[1].

ووليّ ظاهر باسط اليد، تعرفه الأُمّة وتقتدي به.

فالقرآن إذن يدلّ على أنّ الولي ربّما يكون غائباً، ولكنّه مع ذلك لا يعيش في غفلة عن أُمّته، بل يتصرّف في مصالحها ويرعى شؤونها، من دون أن يعرفه أبناء الأُمّة.

فعلى ضوء الكتاب الكريم، يصحّ لنا أن نقول بأنّ الولي إمّا ولي حاضر مشاهَد، أو غائب محجوب.

وإلى ذلك يشير الإمام علي بن أبي طالب في كلامه لكميل بن زياد النخعيّ، يقول كميل: أخذ بيدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ، فأخرجني إلى الجبّان، فلمّا أصحر، تنفّس الصعداء، وكان مما

---

١ ـ الكهف/ ٦٥ ـ ٨٢.

قاله: «اللّهمّ بلى، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّةٍ، إمّا ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً لئلاّ تبطل حُجج الله وبيّناته»[١].

وليست غيبة الإمام المهدي، بِدعاً في تاريخ الأولياء، فهذا موسى بن عمران، قد غاب عن قومه قرابة أربعين يوماً، وكان نبيّاً وليّاً، يقول سبحانه: ﴿وواعَدنا موسى ثلاثينَ لَيلةً وأتممناها بِعَشرٍ فَتمَّ ميقاتُ ربِّهِ أربعينَ لَيلةً *وقالَ مُوسى لأخيهِ هارونَ اخلُفني في قومي وأصلح ولا تتّبعْ سبيلَ المفسدين﴾[٢].

وهذا يونس كان من أنبياء الله سبحانه، ومع ذلك فقد غاب في الظلمات كما يقول سبحانه: ﴿وذا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنادى في الظُّلُماتِ أن لا إِلـه إلاّ أنت سُبحانكَ إِنّي كُنْتُ من الظّالمين * فاستجبنا له ونَجَّيْناهُ مِنَ الغَمِّ وكذلك نُنْجي المؤْمنين﴾[٣].

أولم يكن موسى ويونس نبيّين من أنبياء الله سبحانه؟ وما فائدة نبي يغيب عن الأبصار، ويعيش بعيداً عن قومه؟

فالجواب في هذا المقام، هو الجواب في الإمام المهدي -عليه السلام-، وسيوافيك ما يفيدك من الانتفاع بوجود الإمام الغائب في زمان غيبته في جواب السؤال التالي.

١ـ نهج البلاغة بتعليقات عبده، ج ٤، ص ٣٧ قصار الحكم، الرقم ١٤٧.

٢ـ الأعراف/ ١٤٢.

٣ـ الأنبياء/ ٨٧ـ ٨٨.

وأمّا الحلّ: فمن وجوه:

الأوّل: إنّ عدم علمنا بفائدة وجوده في زمن غيبته، لا يدلّ على عدم كونه مفيداً في زمن غيبته، فالسائل جَعَلَ عدم العلم، طريقاً إلى العلم بالعدم !! وكم لهذا السؤال من نظائر في التشريع الإسلامي، فيقيم البسطاء عدم العلم بالفائدة، مقام العلم بعدمها، وهذا من أعظم الجهل في تحليل المسائل العلمية، ولا شك أنّ عقول البشر لا تصل إلى كثير من الأُمور المهمّة في عالم التكوين والتشريع، بل لا تفهم مصلحة كثير من سننه، وإن كان فعله سبحانه منزّهاً عن العبث، بعيداً عن اللغو.

وعلى ذلك فيجب علينا التسليم أمام التشريع إذا وصل إلينا بصورة صحيحة كما عرفت من تواتر الروايات على غَيبته.

الثاني: إنّ الغَيبَة لا تلازم عدم التصرف في الأُمور، وعدم الإستفادة من وجوده، فهذا مصاحب موسى كان ولياً، لجأ إليه أكبر أنبياء الله في عصره، فقد خرق السفينة التي يمتلكها المستضعفون ليصونها عن غصب الملك، ولم يَعْلَم أصحاب السفينة بتصرّفه، وإلاّ لصدُّوه عن الخرق، جهلاً منهم بغاية عمله. كما أنّه بنى الجدار، ليصون كنز اليتيمين، فأي مانع حينئذ من أن يكون للإمام الغائب في كلّ يوم وليلة تصرّفاً من هذا النمط من التصرّفات. ويؤيد ذلك ما دلّت عليه الروايات من أنّه يحضر الموسم في أشهر الحج، ويحجّ ويصاحب الناس، ويحضر المجالس، كما دلّت على أنّه يغيث المضطرين، ويعود المرضى، وربّما يتكفّل ـ بنفسه الشريفة ـ قضاء حوائجهم، وإن كان الناس لا يعرفونه.

الثالث: المُسَلّم هو عدم إمكان وصول عموم الناس إليه في غَيبته، وأمّا عدم وصول الخواص إليه، فليس بأمر مسلّم، بل الذي دلّت عليه الروايات خلافه، فالصلحاء من الأُمّة الذين يُستَدَرُّ بهم الغمام، لهم التشرّف بلقائه، والإستفادة من نور وجوده، وبالتالي تستفيد الأُمّة بواسطتهم.

الرابع: لا يجب على الإمام أن يتولّى التصرّف في الأُمور الظاهرية بنفسه، بل له تولية غيره على التصرف في الأُمور كما فعل الإمام المهدي ـ أرواحنا له الفداء ـ في غَيبته. ففي الغيبة الصغرى، كان له وكلاء أربعة، يقومون بحوائج الناس، وكانت الصلة بينه وبين الناس مستمرّة بهم. وفي الغيبة الكبرى نصب الفقهاء والعلماء العدول العالمين بالأحكام، للقضاء وإجراء سياسات، وإقامة الحدود، وجعلهم حجة على الناس، فهم يقومون في عصر الغيبة بصيانة الشرع عن التحريف، وبيان الأحكام، ودفع الشبهات، وبكل ما يتوقّف عليه نظم أُمور الناس [1].

---

١ ـ المراد من الغيبة الصغرى، غيبته ـ صلوات الله عليه ـ منذ وفاة والده عام ٢٦٠ هـ ـ إلى عام ٣٢٩ هـ ، وقد كانت الصلة بينه وبين الناس مستمرة بواسطة وكلائه الأربعة: الشيخ أبي عمرو عثمان بن سعيد العمري، وولده الشيخ أبي جعفر محمّد بن عثمان، والشيخ أبي القاسم الحسين بن روح من بني نوبخت، والشيخ أبي الحسن علي بن محمد السَّمري.

والمراد من الغيبة الكبرى: غيبته من تلك السنة إلى زماننا هذا، انقطعت فيها النيابة الخاصّة عن طريق أشخاص معينين، وحلّ محلّها النيابة العامّة بواسطة الفقهاء والعلماء العدول، كما جاء في توقيعه الشريف: «وأمّا الحوادث العامّة، فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا، فإنّهم حجّتي عليكم، وأنا حجّة الله عليهم» (كمال الدين، الباب ٤٥، ص ٤٨٤).

وإلى هذه الأجوبة أشار الإمام المهدي -عليه السلام- في آخر توقيع له إلى بعض نوّابه، بقوله: «وأمّا وجهُ الإنتفاع بي في غَيبتي، فكالإنتفاع بالشَّمسِ إذا غيّبَها عن الأبصار، السحاب»[١].

السؤال الثاني:

لماذا غاب المهدي -عليه السلام- ؟

إنّ ظهور الإمام بين الناس، يترتّب عليه من الفائدة ما لا يترتب عليه في زمن الغيبة، فلماذا غاب عن الناس، حتى حرموا من الإستفادة من وجوده، وما هي المصلحة التي أخفته عن أعين الناس؟

الجواب:

إنّ هذا السؤال يجاب عليه بالنقض والحل:

أمّا النقض: فبما ذكرناه في الإجابة عن السؤال الأوّل، فإنّ قصور عقولنا عن إدراك أسباب غيبته، لا يجرّنا إلى إنكار المتضافرات من الروايات، فالاعتراف بقصور أفهامنا أولى من ردّ الروايات المتواترة، بل هو

١- الصدوق: كمال الدين، الباب٤٥، ص ٤٨٥ الحديث ٤. وقد ذكر العلاّمة المجلسي في وجه تشبيهه بالشمس إذا سترها السحاب، وجوهاً، راجعها في بحار الأنوار ج٥٢ الباب ٢٠ ص ٩٣-٩٤.

المتعيّـن.

وأمّا الحلّ: فإنّ أسبـاب غيبته، واضحة لمن أمعن فيما ورد حـولها من الروايات، فإنّ الإمام المهدي -عليه السلام- هو آخر الأئمّـة الاثني عشر الذين وعـد بهم الرسـول، وأنـاط عـزّة الإسلام بهم، ومـن المعلـوم أنّ الحكومـات الإسلاميـة لم تُقدِّرْهُم، بل كانـت لهم بالمرصاد، تلقيهم في السجـون، وتريق دماءهم الطـاهرة، بالسيـف أو السمّ، فلو كان ظـاهراً، لأقدمـوا على قتله، إطفـاءً لنـوره، فلأجـل ذلك اقتضـت المصلحة أن يكـن مستـوراً عن أعين الناس، يـراهم ويرونـه ولكن لا يعرفـونه، إلى أن تقتضي مشيئة الله سبحـانه ظهوره، بعد حصـول استعدادٍ خاص في العالم لقبولـه، والإنضواء تحت لواء طاعتـه، حتى يحقّق الله تعالى به مـا وعد به الأُمم جمعاء مـن توريث الأرض للمستضعفين.

وقد ورد في بعض الـروايات إشارة إلى هذه النكتـة، روى زرارة قال: سمعت أبا جعفر (الباقر -عليه السلام-) يقول: إنّ للقـائم غَيبة قبـل أن يقوم، قال: قلت: ولِـمَ؟ قال: يخاف. قال زرارة: يعني القتل.

وفي رواية أُخرى: يخاف على نفسه الذبح [١].

وسيوافيك ما يفيدك عند الكلام عن علائم ظهوره.

١ـ لاحظ كمال الدين، الباب ٤٤، ص ٢٨١ الحديث ٨و ٩و ١٠.

السؤال الثالث:

الإمام المهدي وطول عمره:

إنّ من الأسئلة المطروحة حول الإمام المهدي، طول عمره في فترة غَيبته، فإنّه ولد عام ٢٥٥هـ فيكون عمره إلى الأعصار الحاضرة أكثر من ألف ومائة وخمسين عاماً، فهل يمكن في منطق العلم أن يعيش إنساناً هذا العمر الطويل؟

والجواب:

من وجهين، نقضاً وحلاً.

أمّا النقض: فقد دلّ الذكر الحكيم على أنّ شيخ الأنبياء عاش قرابة ألف سنة، قال تعالى: ﴿فَلَبِثَ فيهم أَلْفَ سَنَةٍ إلاَّ خَمْسينَ عاماً﴾ [١].

وقد تضمّنت التوراة أسماء جماعة كثيرة من المعمّرين، وذكرت أحوالهم في سِفْر التكوين [٢].

وقد قام المسلمون بتأليف كتب حول المعمّرين، ككتاب «المعمّرين» لأبي حاتم السجستاني، كما ذكر الصدوق أسماء عدّة منهم في كتاب «كمال الدين» [٣]، والعلاّمة الكراجكي في رسالته الخاصّة، باسم «البرهان على

١ـ العنكبوت/ ١٤.

٢ـ التوراة، سفر التكوين، الإصحاح الخامس، الجملة ٥، وذكر هناك أعمار آدم، وشيث ونوح، وغيرهم.

٣ـ كمال الدين، ص ٥٥٥.

صحة طول عمر الإمام صاحب الزمان»[١]، والعلاّمة المجلسي في البحار[٢]، وغيرهم.

وأمّا الحلّ: فإنّ السؤال عن إمكان طول العُمر، يعرب عن عدم التعرّف على سعة قدرة الله سبحانه: ﴿وَما قَدَروا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾[٣]، فإنّه إذا كانت حياته وغيبته وسائر شؤونه، برعاية الله سبحانه، فأي مشكلة في أن يمدّ الله سبحانه في عمره ما شاء، ويدفع عنه عوادي المرض ويرزقه عيش الهناء.

وبعبارة أُخرى: إنّ الحياة الطويلة إمّا ممكنة في حد ذاتها أو ممتنعة، والثاني لم يقل به أحد، فتعيّن الأوّل، فلا مانع من أن يقوم سبحانه بمدّ عمر وليّه، لتحقيق غرض من أغراض التشريع.

أضف إلى ذلك ما ثبت في علم الحياة، من إمكان طول عمر الانسان إذا كان مراعياً لقواعد حفظ الصحة، وأنّ موت الانسان في فترة متدنية، ليس لقصور الإقتضاء، بل لعوارض تمنع عن استمرار الحياة، ولو أمكن تحصين الانسان منها بالأدوية والمعالجات الخاصة لطال عمره ما شاء.

١ـ الكراجكي: البرهان على طول عمر صاحب الزمان، ملحق بـ «كنز الفوائد»، له أيضاً، الجزء الثاني. لاحظ في ذكر المعمرين ص ١١٤ ـ ١٥٥، ط دار الأضواء، بيروت ١٤٠٥هـ.

٢ـ بحار الأنوار ج٥١، الباب ١٤، ص ٢٢٥ـ ٢٩٣.

٣ـ الأنعام/ ٩١.

وهناك كلمات ضافية من مَهَرة علم الطب في إمكان إطالة العمر، وتمديد حياة البشر، نشرت في الكتب والمجلات العلمية المختلفة [١].

وبالجملة، اتّفقت كلمة الأطباء على أنّ رعاية أُصول حفظ الصحّة، توجب طول العمر،فكلّما كثرت العناية برعاية تلك الأُصول، طال العمر، ولأجل ذلك نرى أنّ الوفيات في هذا الزمان، في بعض الممالك، أقلّ من السابق، والمعمّرين فيها أكثر من ذي قبل، وما هو إلاّ لرعاية أُصول الصحّة، ومن هنا أُسّست شركات تضمن حياة الإنسان إلى أمد معلوم تحت مقرّرات خاصة وحدود معيّنة، جارية على قوانين حفظ الصحّة، فلو فرض في حياة شخص إجتماع موجبات الصحّة من كلّ وجه، طال عمره إلى ما شاء الله.

وإذا قرأت ما تُدَوِّنه أقلام الأطباء في هذا المجال، يتّضح لك معنى قوله سبحانه: ﴿فَلَوْلا أنّه كانَ مِنَ المُسَبِّحينَ * لَلَبِثَ في بَطْنِهِ إلىٰ يَومِ يُبْعَثونَ﴾ [٢].

فإذا كان عيش الانسان في بطون الحيتان، في أعماق المحيطات، ممكناً إلى يوم البعث، فكيف لا يعيش إنسان، على اليابسة، في أجواء طبيعية، تحت رعاية الله وعنايته، إلى ما شاء الله؟

١ـ لاحظ مجلة المقتطف، الجزء الثالث من السنة التاسعة والخمسين.

٢ـ الصافات/ ١٤٣و ١٤٤.

السؤال الرابع:

علائم ظهوره -عليه السلام-، ماهي؟

إذا كان للإمام الغائب، ظهوراً بعد غيبة طويلة، فلابدّ من أن يكون لظهوره علائم وأشراط تخبر عن ظهوره، فما هي هذه العلائم؟

الجواب:

إنّ ما جاء في كتب الأحاديث من الحوادث والفتن الواقعة في آخر الزمان على قسمين:

قسم هو من أشراط الساعة وعلامات دنو القيامة.

وقسم هو ما يقع قبل ظهور المهدي المنتظر.

وربّما وقع الخلط بينهما في الكتب، ونحن نذكر القسم الثاني منهما، وهو عبارة عن أُمور عدّة، منها:

١ـ النداء في السماء.

٢ـ الخسوف والكسوف في غير مواقعهما.

٣ـ الشقاق والنفاق في المجتمع.

٤ـ ذيوع الجور والظلم والهرج والمرج في الأُمّة.

٥ـ ابتلاء الإنسان بالموت الأحمر والأبيض.

٦ـ قتل النفس الزكية.

٧ـ خروج الدجّال.

٨ـ خروج السفياني.

وغير ذلك مما جاء في الأحاديث الإسلامية [١].

هذه هي علامات ظهوره، ولكن هناك أُموراً تمهّد لظهوره، وتسهّل تحقيق أهدافه نشير إلى أبرزها:

١ـ الاستعداد العالمي: والمراد منه أنّ المجتمع الانساني ـ وبسبب شيوع الفساد ـ يصل إلى حدّ، يقنط معه من تحقّق الإصلاح بيد البشر، وعن طريق المنظمات العالمية التي تحمل عناوين مختلفة، وأنّ ضغط الظلم والجور على الإنسان يحمله على أن يُذعن ويُقرّ بأنّ الإصلاح لا يتحقّق إلاّ بظهور إعجاز إلٰهي، وحضور قوّة غيبية، تدمّر كلّ تلك التكتلات البشرية الفاسدة، التي قَيَّدَتْ بأسلاكها أعناق البشر.

٢ـ تكامل العقول: إنّ الحكومة العالمية للإمام المهدي ـ عليه السلام ـ لا تتحقّق بالحروب والنيران والتدمير الشامل للأعداء، وإنّما تتحقّق برغبة الناس إليها، وتأييدهم لها، لتكامل عقولهم ومعرفتهم.

يقول الإمام الباقر ـ عليه السلام ـ في حديث له يرشد فيه إلى أنّه إذا كان ذلك الظرف، تجتمع عقول البشر وتكتمل أحلامهم: «إذا قام قائمنا، وَضَعَ الله يده على رؤوس العباد، فيجمع بها عقولهم، تكتمل به أحلامهم» [٢].

١ـ لاحظ للوقوف على هذه العلائم، بحار الأنوار ج٥٢، الباب ٢٥، ص١٨١ـ٣٠٨. كتاب المهدي، للسيد صدر الدين الصدر (م ١٣٧٣ هـ). ومنتخب الأثر، ص ٤٢٤ـ ٤٦٢.

٢ـ منتخب الأثر، ص٤٨٣.

فقوله ـ عليه السلام ـ: فيجمع بها عقولهم، بمعنى أنّ التكامل الإجتماعي يبلغ بالبشر إلى الحدّ الذي يَقْبَلُ فيه تلك الموهبة الإلـٰهية، ولن يترصّد للثورة على الإمام والإنقلاب عليه، وقتله أو سجنه.

٣ـ تكامل الصناعات: إنّ الحكومة العالمية الموحّدة لا تتحقق إلاّ بتكامل الصناعات البشرية، بحيث يسمع العالم كلّه صوته ونداءه، وتعاليمه وقوانينه في يومٍ واحدٍ، وزمنٍ واحدٍ.

قال الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ: «إنّ المؤمنَ في زمان القائم، وهو بالمشرق يرى أخاه الذي في المغرب، وكذا الذي في المغرب يرى أخاه الذي بالمشرق»[1].

٤ـ الجيش الثوري العالمي: إنّ حكومة الإمام المهدي ـ عليه السلام ـ وإن كانت قائمة على تكامل العقول، ولكن الحكومة لا تستغني عن جيش فدائي ثائر وفعّال، يُمَهِّد الطريق للإمام ـ عليه السلام ـ، ويواكبه بعد الظهور إلى تحقّق أهدافه وغاياته المتوخّاة.

وآخر دعوانا أن

الحمد لله ربِّ العالمين

١ـ منتخب الأثر، ص ٤٨٣.

الفهارس العامة

- مصادر الكتاب.
- موضوعات الكتاب.



فهرس
مصادر الكتاب

ـ نبدأ تبركاً بالقرآن الكريم.

ـ حرف الألف ـ

١ـ الاتحاف بحب الأشراف: الشبراوي: عبد الله بن محمد، المطبعة الأدبية، مصر.

٢ـ اثبات الهداة: الحر العاملي: محمد بن الحسن (م ١١٠٤ هـ) المطبعة العلمية، قم المقدسة.

٣ـ اثبات الوصية: المسعودي: علي بن الحسين بن علي (م ٣٤٥ هـ) قم المقدسة ـ ١٤٠٤ هـ.

٤ـ الاحتجاج: أبو منصور: أحمد بن علي الطبرسي (من أعلام القرن السادس الهجري) مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ ١٤٠٣ هـ.

٥ـ الارشاد: المفيد: محمد بن محمد بن النعمان (م ٤١٣ هـ) قم المقدسة ـ ١٤٠٢ هـ.

٦ـ الاصابة: ابن حجر العسقلاني: أحمد بن علي (م ٨٥٢ هـ) دار احيار التراث العربي، بيروت.

٧ـ اعلام الورى: الطبرسي: الفضل بن الحسن (٤٧١ ـ ٥٤٨ هـ) طبع إيران.

٨ـ أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين العاملي (م ١٣٧١ هـ) دار التعارف، بيروت.

٩ـ الأغاني: أبو الفرج الاصفهاني: علي بن الحسين (م ٣٥٦ هـ) دار احياء التراث العربي، بيروت.

١٠ـ الإلهيات: محمد مكي العاملي من محاضرات الشيخ جعفر السبحاني، الدار الإسلامية، بيروت ـ ١٤١٠ هـ.

١١ـ الإمام علي صوت العدالة الإنسانية: جورج جرداق، دار الروائع، بيروت.

١٢ـ الإمامة والسياسة: ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم الدينوري (م ٢٧٦ هـ) مطبعة مصطفى محمد، مصر.

ـ حرف الباء ـ

١٣ـ بحار الأنوار: العلاّمة محمد باقر المجلسي (م ١١١٠ هـ) مؤسسة الوفاء، بيروت ـ ١٤٠٣هـ.

١٤ـ البداية والنهاية: ابن كثير: الحافظ أبو الفداء (م ٧٧٤ هـ) دار الفكر، بيروت ـ ١٤٠٢ هـ.

١٥ـ البرهان على طول عمر الإمام صاحب الزمان: أبو الفتح: محمد بن عثمان الكراجكي (م ٤٤٩ هـ).

١٦ـ بين يدي الساعة: الدكتور عبد الباقي المعاصر.

ـ حرف التاء ـ

١٧ـ تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي: أحمد بن علي (م ٤٦٣ هـ) المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

١٨ـ تاريخ الخلفاء: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١هـ) مطبعة المدني، القاهرة ـ ١٣٨٣ هـ.

١٩ـ تاريخ الطبري المسمّى (تاريخ الأُمم والملوك): محمد بن جرير (م ٣١٠هـ) مؤسسة الأعلمي، بيروت.

٢٠ـ تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر: علي بن الحسن بن هبة الله (٥٠٠ ـ ٥٧٣هـ) دار التعارف، بيروت ـ ١٣٩٥ هـ.

٢١ـ تحف العقول: الحرّاني: الحسن بن علي (من أعلام القرن الرابع الهجري) مؤسسة الأعلمي، بيروت ـ ١٣٩٤ هـ.

٢٢ـ تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي (٥٨١ ـ ٦٥٤ هـ) مؤسسة أهل البيت، بيروت ـ ١٤٠١ هـ.

٢٣ـ ترجمة الآثار الباقية: أبو ريحان البيروني.

٢٤ـ تفسير مفاتيح الغيب: محمد بن عمر الخطيب الرازي (٥٤٤ ـ ٦٠٦ هـ) دار احياء التراث العربي، بيروت.

٢٥ـ التوحيد: الصدوق: محمد بن بابويه القمي (٣٠٦ ـ ٣٨١ هـ) مكتبة الصدوق، طهران.

ـ حرف الثاء ـ

٢٦ـ ثمار القلوب: الثعالبي.

ـ حرف الجيم ـ

٢٧ـ جامع الأُصول: ابن الأثير الجزري: المبارك بن محمد (٥٤٤ ـ ٦٠٦ هـ) دار الفكر، بيروت ـ ١٤٠٣ هـ.

٢٨ـ جنّة المأوى: محمد حسين كاشف الغطاء (م ١٣٧٣ هـ) مكتبة الحقيقة، تبريز ـ ١٣٨٠ هـ.

ـ حرف الحاء ـ

٢٩ـ حلية الأولياء: أبو نعيم: أحمد بن عبد الله الاصبهاني (م ٤٣٠ هـ) دار الكتاب العربي، بيروت ـ ١٣٨٧ هـ.

ـ حرف الخاء ـ

٣٠ـ الخصال: الشيخ الصدوق: محمد بن بابويه (م ٣٨١ هـ) منشورات دار النشر الإسلامي، قم المقدسة ـ ١٤٠٣ هـ.

ـ حرف الراء ـ

٣١ـ ربيع الأبرار: الزمخشري: محمود بن عمر (٤٦٧ ـ ٥٣٨ هـ) منشورات الشريف الرضي، قم المقدسة ـ ١٤١٠ هـ.

٣٢ـ الرجال: النجاشي: أحمد بن علي (٣٧٢ ـ ٤٥٠ هـ) بيروت ـ ١٤٠٩هـ.

ـ حرف الزاي ـ

٣٣ـ زهر الآداب: الحصري.

ـ حرف السين ـ

٣٤ـ سفينة البحار: الشيخ عباس القمي (١٢٩٤ ـ ١٣٥٩ هـ) طبعة حجر، النجف الأشرف.

٣٥ـ السيرة النبوية: ابن هشام: عبد الملك بن أيوب الحميري (م ٢١٣ أو ٢١٨هـ) دار التراث العربي، بيروت.

ـ حرف الشين ـ

٣٦ـ شذرات الذهب: ابن عماد الحنبلي (١٠٣٢ ـ ١٠٨٩ هـ) دار الفكر، بيروت ـ ١٣٩٩ هـ.

٣٧ـ شرح الشفاء: القاضي عياض.

٣٨ـ شرح عينية عبد الباقي أفندي العمري.

٣٩ـ شرح نهج البلاغـة: ابن أبي الحديد (م ٦٥٥ هـ) دار احياء الكتـب العربية، القاهرة ـ ١٣٧٨ هـ.

٤٠ـ شواهد التنزيل: الحاكم الحسكاني: عبيد الله بن عبد الله، بيروت ـ ١٩٧٤م.

٤١ـ الشيعـة والتشيّع: محمد جواد مغنيـة، مكتبة المدرسة ودار الكتـاب العربي، بيروت.

ـ حرف الصاد ـ

٤٢ـ الصحيفـة السجـاديـة الجامعـة: الإمـام زين العـابـديـن علي بن الحسين ـ عليهما السلام ـ تحقيق مـؤسسة الإمـام المهدي ـ عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ قم المقدسة ـ ١٤١١ هـ.

٤٣ـ الصواعق المحرقة: أحمد بن حجر الهيتمي (م ٩٧٤ هـ) مكتبة القاهرة، مصر ـ ١٣٨٥ هـ.

ـ حرف العين ـ

٤٤ـ العقـد الفريـد: ابـن عبد ربـه الأنـدلسي (٢٤٦ ـ ٣٢٨ هـ) دار الكتب العلمية، بيروت ـ ١٤٠٤ هـ.

ـ حرف الغين ـ

٤٥ـ الغـدير: العـلاّمـة عبـد الحسين أحمد الأميني (١٣٢٠ ـ ١٣٩٠ هـ) دار الكتاب العربي، بيروت ـ ١٣٨٧ هـ.

٤٦ـ الغيبة: الطـوسي: محمد بن الحسـن (م ٤٦٠ هـ) تحقيق مـؤسسة المعـارف الإسلامية، قم المقدسة ـ ١٤١١ هـ.

ـ حرف الفاء ـ

٤٧ـ الفصـول المهمة: ابـن الصباغ المالكـي (م ٨٥٥ هـ) المكتبة الحيـدريـة،

النجف الأشرف ـ ١٣٨١ هـ.

٤٨ـ في رحاب أئمّة أهل البيت: السيد محسن الأمين العاملي (م ١٣٧١ هـ) دار التعارف، بيروت ـ ١٤٠٠ هـ.

ـ حرف الكاف ـ

٤٩ـ الكافي: محمد بن يعقوب الكليني (م ٣٢٩ هـ) دار الكتب الإسلامية، طهران ـ ١٣٩٧ هـ.

٥٠ـ الكامل في التاريخ: ابن الأثير الجزري: محمد بن محمد (م ٦٣٠ هـ) دار الكتاب العربي، بيروت.

٥١ـ كشف الغمة: الأربلي: علي بن عيسى (م ٦٩٣ هـ) دار الأضواء، بيروت ـ ١٤٠٥ هـ.

٥٢ـ كمال الدين: الصدوق: محمد بن بابويه (م ٣٨١ هـ) طهران ـ ١٤٠٥ هـ.

ـ حرف اللام ـ

٥٣ـ لسان العرب: العلاّمة ابن منظور: محمد بن مكرم (م ٧١١ هـ) قم المقدسة ـ ١٤٠٥ هـ.

٥٤ ـ اللهوف: السيد ابن طاووس ، طبع بغداد .

ـ حرف الميم ـ

٥٥ـ مجمع البيان: الفضل بن الحسن الطبرسي (٤٧١ ـ ٥٤٨ هـ) دار المعرفة ، بيروت ـ ١٤٠٨ هـ.

٥٦ـ مروج الذهب: علي بن الحسين المسعودي (م ٣٤٥ هـ) منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت ـ ١٩٦٥م.

٥٧ـ المسند: أحمد بن حنبل (م ٢٤١ هـ) دار الفكر، بيروت.

٥٨ـ مسند الإمام العسكري: العطاردي.

٥٩ـ معاني الأخبار: الصدوق: محمد بن بابويه القمي (م ٣٨١ هـ) دار المعرفة، بيروت ـ ١٣٩٩ هـ.

٦٠ـ معاهد التنصيص: العباسي البغدادي.

٦١ـ مقاتل الطالبيين: أبو الفرج الاصفهاني (٢٨٤ ـ ٣٥٦ هـ) مؤسسة دار الكتاب، قم المقدسة.

٦٢ـ مقتل الحسين: الخوارزمي: أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي (م ٥٦٨ هـ) مطبعة الزهراء، النجف الأشرف ـ ١٣٦٧ هـ.

٦٣ـ مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب: محمد بن علي السروي المازندراني (٤٨٨ ـ ٥٨٨ هـ) المطبعة العلمية، قم المقدسة.

٦٤ـ مناقب أحمد: ابن الجوزي الحنبلي.

٦٥ـ منتخب الأثر: لطف الله الصافي الگلبايگاني، مركز نشر كتاب، طهران ـ ١٣٧٣ هـ.

٦٦ـ المهدي: السيد صدر الدين الصدر (م ١٣٧٣ هـ) مؤسسة البعثة، طهران ـ ١٤٠٣ هـ.

٦٧ـ ميزان الاعتدال: محمد بن أحمد الذهبي (م ٧٤٨ هـ) دار المعرفة، بيروت.

ـ حرف النون ـ

٦٨ـ نهج البلاغة: جمع الشريف الرضي (٣٥٩ ـ ٤٠٦ هـ) بيروت ـ ١٣٨٧ هـ.

ـ حرف الواو ـ

٦٩ـ وسائل الشيعة: الحر العاملي: محمد بن الحسن (١٠٣٣ ـ ١١٠٤ هـ) دار احياء التراث العربي، بيروت ـ ١٤٠٣ هـ.

٧٠ـ وفيات الأعيان: ابن خلّكان: أحمد بن محمد (٦٠٨ ـ ٦٨١ هـ) منشورات الشريف الرضي، قم المقدسة ـ ١٣٦٤ هـ.

فهرس
موضوعات الكتاب

الموضوع	الصفحة

الإمام الثامن:

الإمام التاسع:

الإمام العاشر:

الإمام الحادي عشر:

الإمام الثاني عشر: